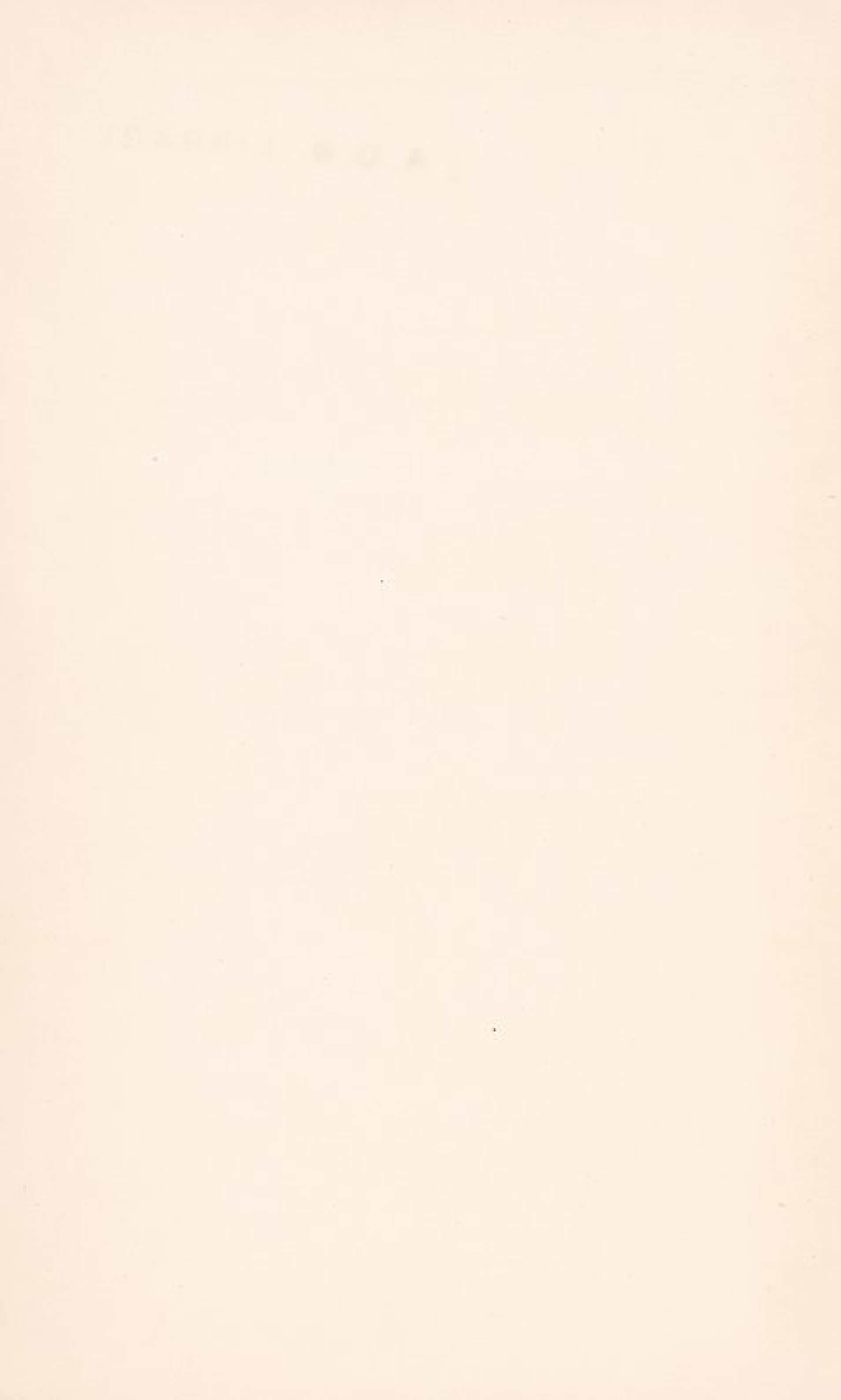










هدية المؤلف للاستاذ ...

حياة اللغات وموتها

اللغة العامّية

تأليف

الخوري مارون غصن

الحائز وسام المعارف من الحكومة الفرنساوية



يُطلب هذا الكراس من المؤلف، ومن مكتبة الامير الفراد شهاب، ازاء كنيسة القديس جرجس المارونية، ومن اهم مكاتب الثغر.

ثمن النسخة ١٥ غرشاً سورياً

المطبعة الكاثوليكية. بيروت

١٩٢٥

مقدمة

منذ حين نشرنا الجزء الأوَّل من كتابنا الجديد « درس ومطالعة »، وأثبتنا فيه قسماً مهماً من مقالتنا « اللغة العامية »، ثمّ شفعنا هذه المقالة بمباحث مهمّة عن تحوُّل ثلاث وعشرين لغةً عاميَّة الى لغاتٍ فصيحة، وأضفنا إلى ذلك بحثاً آخر يتضمّن قواعد كتابة اللغة العاميَّة السورية، وعززنا هذه القواعد بإيراد امثلةٍ عليها • وطبعنا جميع هذه المباحث في هذا الكرّاس •

حياةُ اللغات وموتُها

اللغة العاميّة

بحثٌ فلسفي، لغوي، اجتماعي

هذا بحثٌ جديد، لا نذكر أنّ أحدًا خاضهُ قبل الآن، مع ما هو عليهِ من خطورة الشأن في نُشوء اللُّغاتِ وفتوّتها وشبابها وشيخوختها واندثارها.

وقد طالما حدّثتنا النفسُ بخوض هذا الموضوع الجليل، ونشرِ ما يبدو لنا فيهِ من الآراء السديدة، فأحجمنا خشيةَ الصّدَماتِ القويّةِ التي تصدمُ، في بدء الأمر، كلّ مُبتدِع أو مُخترع؛ وخاصّة لأن البحث فيهِ يُؤدِّي بنا حتماً إلى الكلام عن لغتنا العربيّة العاميّة، وذكرِ البراهين الفلسفية واللغوية والاجتماعية التي تُؤيّدُ تمامَ التأييد ما نتوخّاهُ من هذا المقال: وهو أنّ اللغة العربية العاميّة تترقى شيئًا فشيئًا، وتتحوّل، مع الايام، حتى تحلّ محلّ اللغة العربيّة الفصحى!

نحن عارفون أنّ هذا البحث الجديد سيُضحك بعض الناس، ويدفع البعضَ الآخر، من ذوي الحدّة والتشبُّث بالقديم، إلى صَبِّ الويلاتِ على رأسنا؛ لكنّنا، إذا فعلوا،

أجبناهم بتلك العبارة التاريخية الشهيرة ، التي جاوب بها « توميستكل » « أوريبياد » قائدَ قوّادِ اليونان ، حين رفع هذا عليهِ عصاهُ وهمَّ أن يضربه ، لمخالفة « توميستكل » له في الرأي ، فاجابه توميستكل : « إضرب ، بشرط أن تُصغي إليَّ ! »

ونحن واثقون تمام الثقة من أنَّ العلماء وأصحابَ النظرِ الذين يعرفون حدودَ آدابِ الجدلِ ، لا يأتون على هذهِ المقالة حتى يصيروا على رأينا ، ويعتقدوا صحَّة ما جاء فيها ؛ بل قد تدفعهم الحميَّةُ الى مناصَرتنا في تعزيز اللغة العربية العامية ، فيكون لهم ولنا ، في التاريخ الآتي ، صفحةٌ مجيدةٌ يقرأها الآتون بالشكر والإعجاب .

وعلى هذا الرجاء نشرع في البحث ، قاسمين الموضوع الى قسمين :

في القسم الاول نبحث : ١ في أنَّ كلَّ لغةٍ سائرةٌ حتماً الى الفناء ؛ ٢ في أنْ لا بدَّ لكلّ لغةٍ عاميَّة من أن تتحوّل الى لُغةٍ فصيحة ، بشرط أن يبلغ الشعبُ الناطقُ بهـا ، درجةً من التمـدُّن راقية ؛ ٣ في انَّ اللغة الفصحى تترقى أيضاً بترقي التمدُّن ، لكنَّها لا تستطيع مجاراة اللغة العامية في ذلك الترقي .

وفي القسم الثاني ١ نُفنِّد جميعَ الاعتراضات التي يعترض بها

الخُصوم على استطاعةِ ترقي اللغة العاميَّة إلى المستوى الأدبي ؛

٢ً نوردُ تاريخ تحوُّل ثلاث وعشرين لغةً عاميّة إلى لُغات فصيحة .

القسم الأوّل

اولاً : في أنَّ كلَّ لُغةٍ سائرةٌ الى الفناء

نعم إنَّ كلَّ لغةً على وجهِ الارض ماشيةٌ ضرورةً الى الفناء ، مهما بلغت من المجد والكمال . وذلك لانَّ كلَّ حيٍّ يُولدُ فينمو ، فيبلغ أشدَّهُ فشبابه ، ثمَّ يضعف ، فيهرم ، فيموت ؛ تلك هي سُنَّةُ الله في كلّ حيّ .

والحال أنَّ كلَّ لُغةٍ يتكلّم بها الشعبُ ، ولو كان من الهمج ، تكونُ حيَّةً بحياةِ ذلك الشعب العقليّة والادبية ؛ فتنمو بنُموّها ، وتتلاشى بتلاشيها . فإذا ترقّى هذا الشعبُ مراقيَ الحضارة ، ترقّتْ لغتُهُ ؛ والعكس بالعكس .

وهذا المبدأ لا ينطبق على درجة حياة اللغة فقط ، بل على نوعها أيضاً ؛ أعني أنَّ حياة اللغة أشبهُ بمرآةٍ صادقةٍ فيها نرى حياة الشعب وجميعَ مميّزاتها . فاذا كان ذلك الشعبُ راقياً في الصناعة او التجارة او الفنون الجميلة او العلوم ، كثُرتْ في

لغتهِ الالفاظُ والتعابيرُ المختصّة بتلك الصِناعة أو التِجارة ، الخ .

أمّا قولنا إنّ كلّ لغة سائرةٌ الى الفناء ، فمعناهُ أنّ كلّ لغةٍ تتحولُ ، شيئاً فشيئاً ، من صورتها الاصليّة الى صورةٍ بعيدةٍ عنها ، بحيث يَسَعُ اللغويين أن يعدُّوا هاتين الصورتين لغتين متخالفتين ، لا لُغةً واحدة ، رغم ثبوتِ علاقةِ الاشتقاق بينهما . وهذهِ اللغةُ اللاتينيّة ، قد ماتت في جميع البلاد التي كانت ، في القرون الغابرة ، تنطق بها ، وتحولّتْ إلى عِدّة لغاتٍ جديدة دعَوْها باللغاتِ اللاتينيّة الاصل ، من مثل الافرنسية والايطاليـة والاسبانية والبرتغاليـة والرومانية (لغة رومانية) .

أمّا الحتمُ بأنْ لا بُـدّ لكلّ لُغة من أن تموت ، ولو بلغت أسمى درجات الكمال ، فهذا لأنها حيّة ، والموت متحتمٌ على كلّ حيّ ، كما سبق الكلام .

وها نحن نُثبت ذلك بأجلى البراهين . قلنا إنّ حياة اللغة تتكيّفُ بتكيّف حياة الشعب الناطق بها ، والحال انّ هذهِ الحياة الشعبيّة في تغيّرٍ دائم لا ثبات لهُ ، وأنّ كلّ شعبٍ يتقدّمُ أو يتقهقر في الحضارة ، ويُكثر أو يُقلّ من علاقاتهِ بسائر الشعوب ، ويتشدّدُ بالسِلم ، أو تنحلّ قواهُ بالحروب ، من مثل الحرب الكونية الأخيرة . وهنالك ايضاً أُلوف من العوامـل التي

تُحدثُ تغيراً مستمراً في ضروب أحوالِهِ، فضلاً عن أن افرادَ الشعب تتغيرُ ايضاً على تتابع الاجيال، وعلى هذا التغيرِ يترتّبُ تغيرُ الاعضاء الصوتية، فينتج عنه تغيرٌ تدريجي في التلفظ بلسانِ الشعب. نعم إنّ كلّ جزءٍ من هذه التغيرات الطارئة على اللغة الاصليّة، هو وحدهُ وبذاتِهِ، لا يكاد يُحسب؛ لكنّ تواصلَ هذه التغيرات الكثيرة، ولو جزئية، يُلبس اللغةَ الاصلية، بعد بضعة أعصُر، صورةً جديدةً ينتج عنها، بحسب تعبير اللغويين، لغةٌ جديدةٌ. ومن المعلوم أنّ الثانية سُدسُ عُشر الدقيقة، وهي، من الزمان، لحظةٌ لا تكادُ تُحسبُ، على أنّ الشاعر المصريّ الكبير قد نظم فيها هذا البيت البديع فقال:

«دقاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لهُ إنّ الحياةَ دقائقٌ وثواني!»

وإن قطرة الماء ليستْ هي في ذاتها شيئاً يُذكر، لكنّ البحر، على اتّساعهِ، يتألفُ من اجتماع القطرات!

ومن أوضح البراهين التي تؤيّدُ حكمنا هذا في ضرورة سير اللغات الى هاويةِ الفناء، ما نراهُ في مصير اللغة اليونانية، مع انها، على رأي الثقات، من أقدمِ اللغات وأجملها وأرقاها.

ثانياً : في أنه يتحتّم على كلّ لغةٍ عاميّة أن تتحوّل الى لغةٍ فصيحة، بشرط ان يبلغ الشعب الناطقُ بها درجةً من التمدن راقية

المرادُ باللغة العاميّة، اللغةُ التي يُنطَقُ بها ليس غير، والتي لا آداب لها، خلافاً للغة الفصيحة.

فاذا نظرنا في شعبٍ قليل التمدُّن وذي لُغةٍ عاميّة، حكمنا بأنْ لا بدّ لهُ من أن يكون على احدى حالتين : فإمّا أن يكون لهُ لغةٌ فصيحة (مخالفةٌ للعاميّة)، وإمّا أن لا يكون لهُ.

فاذا كان لهُ لغةٌ عاميّة دون لغة فصيحة، وبلغ هذا الشعبُ درجة من التمدن سامية، فلا يعود لهُ حينئذٍ أن يكتفي بالتكلم، بل يصير في أشدّ الحاجةِ الى العلوم والآداب بجميع أنواعها، فيُضطرُّ الى الاستعانة بلغتهِ العامية قضاء لحاجاته. نعم إنَّ هذه اللغة العاميّة تكون في بدء الامر ضعيفةً، لا تصلح للقيام بالمطلوب قياماً كافياً، لكنها لا تلبثُ، مع تواصل الايام وقوّةِ الممارسة، أن تستحكم وتتكامل، حتى تغدو وافية، صالحة للنهوض بحاجات الشعب العلميّة والأدبيّة.

هيّا الآن الى النظر في حالة الشعب الذي لهُ لغةٌ عامية ولغةٌ فصيحة، كما هي الان حالةُ البلاد الناطقة بلهَجات عربية عاميّة، مشتقّة من العربية الفُصيحة، وحالةُ اليونان وزوج وتركيّة

ومُعظم إيطالية والصين الخ .

إن هذا الشعب في الطور الأول من حياته يكون أمّياً ، جاهلاً ، فيقلّ فيهِ عدد الذين يتوصّلون ، بواسطة المدارس ، إلى تعلّم اللغةِ الفصيحة ؛ بل قد يكون عدد المتعلّمين منه قدرَ واحدٍ من ألف . وعلى هذهِ الحالة كان أهلُ سورية ولبنـان في أوائل القرن الماضي . في هذا الطَوْرِ يُمكّننـا واقعُ الأمرِ من أن نقولَ إنَّ الشعب ذو لُغةٍ واحدة ، وهي اللغة العـاميّة ، وذلك لنَدْرة المتأدبين فيهِ .

وفي الطَوْر الثاني ، طوْرِ ابتداء التمدُّن ، يأخذ الشعبُ في الترقي من حالة الجهلِ الى حالةِ الحضارة ، فتترقى معه اللغة العاميَّة ويزدادُ غناها زيادة مطّردةً بازدياد الالفاظ والتعابير ، ولاسيّما في ما يختصُّ منها بفروع الحضارة .

مثالُ ذلك أنَّ اللهجة السوريّة في عصرنا ، أغنى منها في ما سبق من العصور . وهذا أمرٌ لا رَيْب فيهِ ، وخـاصّةً لأنَّ ألوفاً من كلمات اللغة الفصيحة تدخل على التدريج في مُعجمِ (قاموس) اللغة العاميَّة ، بسبب انتشار العلوم والمعارف ، المرافِقِ لانتشار المدارس الابتدائية والثانوية . وكلُّ ذلك نراهُ على أتمّ الوضوح في اللهجة السورية العاميَّة ، حيث يستعمل الشعبُ مئاتٍ من الالفاظ المأخوذة عن اللغة الفصيحة ، من مثل : رياضة

(روحيّة) ، وتُساعيّة ، وأخويّة ، وغفران كامل ، ومُرشد (directeur de conscience) الخ ؛ وقد اجترأنا بذكر بضعة الفاظ دينيّة .

نعم إنّ اللغة الفصيحة تترقى ايضاً بترقي التمدّن ، على أنها لا تستطيع مجاراة اللغة العاميّة في هذا الترقي . ودليلُ ذلك أنّ اللغة العامية يسهل عليها اقتباس الكلمات أيّاً كان مصدرها ، ولو أجنبياً ، من مثل كلمة موضه (la mode) في اللهجة السوريّة ، وبنك ، وفاتوره ، وبروتستو ، وسينما ، وتياترو ، وبوسطه ، وتلغراف ، وتلفون ، وطاوله الخ .

أمّا اللغة الفصحى فلا وجهَ لها الى الاغتناء ، إلّا في أن يتواطأ أرباب اللغة فيها على وضع الفاظ جديدة ، أو نحتها من جذر اللغة نفسه ، وإنّ في ذلك من الصعوبة ما فيه . وحسبنا دليلًا على هذهِ الصعوبةِ أنّه قد مضى على العربيّة الفصيحة ، منذ نهضتها الاخيرة الى الآن ، قرن كامل ، وهي لا تزال عاجزةً عن تأديةِ معانٍ ساذجةٍ يسهل التعبيرُ عنها باللغة العامية ، مثلًا : كنبايه (fauteuil) ، بيانو ، ڤلس (Valse) ، الخ .

وفي الطوْر الثالث أو الطور النهائي ، تزول اللغةُ الفصيحة ، وترتقي اللغة العاميّة الى درجةِ لغةٍ فصيحة ، وذلك متى بلغ رقي الشعب درجةً عالية ، فمسّتْهُ الحاجةُ الى كمالِ

التعلّم والتأدُّب، من أقرب طريق. فهذه الحاجة الماسّة، بل الضربة اللازبة تقعُ على مئات ألوف من الناس، بل قلْ على ملايين كثيرة!

فهل يُمكن، والحالة هذه، أن يُخيَّلَ إلينا إمكانُ إعراض اولئك الملايين عن طلب المعارف والآداب في لغتهم العامية التي يعرفونها أتمّ معرفة، والتي زادت في توالي العصور غنىً وجمالًا؟

وهل يسعهم الإصرارُ على استعمال اللغة الفصيحة، وهي لغةٌ لا يستطيعون التضلُّعَ منها إلّا بعد شق النفس، وفي اعوام يقضونها درساً وحفظاً(١)، لغةٌ لا تؤثِّرُ في آذانهم وقلوبهم ذلكَ التأثيرَ اللطيفَ الساحرَ، الذي تؤثّرهُ فيهم لُغةُ أُمّهاتهم(٢) لغةٌ

---

١) إنَّ المتخرّجين في العربيَّة الفصيحة لا يستطيعون أن يكتبوا بها بتَيْنِك السهولة والسرعة اللّتين يكتب بها، مثلًا، أحدُ الافرنسيين بلغته. ومهما كان الكاتب العربيّ متضلِّعاً منها، فلا يبرح في خوفٍ من انسياب بعض ألفاظ عاميّة في كتابته، فيجعل معاجم اللغة أمامه للتحقُّق والتثبُّت. ومع ذلك، لانكاد نرى كاتباً عصريّاً لم يكبُ قلمهُ في هذا المجال الصعب، لأنَّ اللغة العاميّة قد تأصّلت فينا كلّ التأصُّل، وصارت لنا لغةً طبيعيَّةً جُبِلْنا عليها. وقد قيل: «الطبعُ يغلب التطبُّع!» وقيل أيضاً: «ليس الطبع كالتطبُّع، ولا الكَحَل كالتكحُّل»

٢) في اواخر كانون الاوّل، سنة ١٩٢٠، عاد غبطة السيّد الياس الحويك، البطريرك اللبناني، من سفره الى أوربّة، فعرّج على بيروت، ودخل كنيسة القديس

نطقوا بها، وسمعوها سحابةَ عمرهم، فأضحت من حياتهم، وروحهم، وشخصيَّتهم، جزءًا لا ينفصل؟ لذلك يسعنا القول إنَّ كلَّ من يعتقدُ خلافَ ذلك، يكون على وهمٍ وضلال.

وما كان الانسانُ غبيًّا الى حدٍّ يستعيضُ فيهِ من رجليهِ السليمتين، بعكّازين!

القسم الثاني

أوّلًا: في تفنيد الحجج التي يُعترض بها على ترقية اللغة العامّية السورية الى المستوى الأدبي

كان الأولى أن نكتفي بما سردناهُ من البراهين الفلسفية واللغوية والاجتماعية، إثباتًا لما نحن في صددِ الكلام عنه، لأنّ

جرجس المارونية، حيث ألقى على تلك الالوف المؤلَّفة، خطابًا شائقًا، ذكر لهم فيهِ خُلاصة أعمالهِ في سبيل الدفاع عن استقلال لبنان الكبير. ولمّا وصل الى الكلام عمّا لقيهُ في فرنسة من حبِّ رجالها للبنان، هبّت الحماسة الخطابية في صدر ذلك الشيخ الجليل، فصاح: «ماذا أقول لكم عن هذهِ الدولة النبيلة؟» وكأنَّ ذلك الصديق العجيب للامّة الافرنسيّة، رأى أنَّ اللغة الفصيحة لا تكفي للتعبير عن عواطفهِ الشديدة، فانتقل، ولم يشعر، إلى اللغة العاميّة، ونادى بملء صوته وقال: «لازم الشعب يِفهم... فرنسا ما في مِتلا بِلدِنه كِلّا!» فهتفت تلك الجماهير العديدة - في وسط الكنيسة! - هتاف الحماسة والفرح، وصفّقوا تصفيقًا ارتجّت له أرجاء تلك الكنيسة ارتجاجًا!

هذا تأثير عبارة واحدةٍ عاميّة! ولو عبّر السيد البطريرك عن عاطفته تلك، بعبارة فصيحة، لما أثّرت في الحاضرين ذلك التأثير نفسه!

الاضداد يمتنع وجودها امتناعَ وجودِ الحرارةِ والبُرودةِ في جسمٍ واحدٍ، وبوقتٍ واحد؛ ومتى ثبت الشيُ انتفى ضدُه. لكنّنا، إرساخاً للإقناع في قلوب القرّاء، نعمدُ في هذا القسم إلى تفنيد ما قد يعترض بهِ علينا المعترضون:

الاعتراض الأوّل :

إنّ بين العربية الفصحى واللهجات العامّية، فرقاً لا يُعتَدُّ به؛ وعليهِ فلا داعيَ للبحث في ترّقي تلك اللهجات إلى درجةِ لغاتٍ أدبيّة.

الجواب :

نُنكر كلّ الإنكار أنّ الفرق مِمّا لا يُلتَفتُ اليه؛ والبرهان واضح كالصبح الصابح.

اوّلا: انّ الفلّاح اللبناني الأمّي لا يستطيع أن يقرأ ويفهم كتاباً عربياً، من مثل كتاب «مجاني الادب»؛ بلى، هو يفهم منه الالفاظ المشتركة بين العربية الفصحى واللهجة السورية، ليس غير. وهو، إن كتب سطراً عربياً واحداً، حشاهُ بالأغاليط.

ثانياً: نرى تلاميذ المدارس يقضون في تعلُّم اللغة العربية

بضع سنين ، ويصِلون الى الصفّ الخامس ، او الرابع ، ولا يستطيعون أن يكتبوا قصةً ساذجةً ،دون غلط لُغويّ ،ونحوي وصرفيّ ؛ بل انَّ تلاميذ البيان والخطابة أيضاً ، لا يقوون ، ولو بعد دراسة عشرة اعوام ، على التكلُّم باللغة الفصيحة ، والكتابة بها ،بسرعة معتدلة ، وبلا خطإ . أمّا اللهجة السورية ،فيتكلّمون بها بمنتهى السهولة ؛ولو كُتِبَتْ ،لكتبوها بتلك السهولة عينها.

ثالثاً : خاطِبْ فلّاحاً أُمِيّاً باللغة الفصيحة ، فترى أنه لا يفهمها فهماً كافياً ؛ واقرأ عليهِ مقالة عربية ،وسلْهُ ، بعد ذلك ، ما أدركَ منها ...

رابعاً : إنّ اللّغويين في بلاد الغرب ، من فرنسيين وانكليز وألمان وايطاليين وروس الخ ، كتبوا في قواعد اللهجات العربية ، من سوريّة ومصريّة وجزائرية وتونسية ومراكشية ، وألّفوا فيها مَعاجم (قواميس) وأجادوا ؛ فما يكون معنى هذه القواعد وهذهِ (القواميس) ، اذا كان بين العربية الفصيحة وتلك اللهجات ، فرقٌ لا يذكر ؟ ومَنْ هو في هذهِ المسائل اللُغوية أسدُّ رأياً من اللغويين ؟ (١

---

١) عمّا قريب ، إن شاء الله ، ننشر بلغتنا العاميّة ، الجزء الاول من كتاب لنا سمّيناه « في مِتْلو هلكتاب ؟ » وهو يشتمل على علميّات ، وروايات ، وحكايات ، وفكاهات ، وأحجيات (حزازير) وأناشيد . وسيتبعهُ عدّة

الاعتراض الثاني :

ان العربيّة الفصحى لغةٌ خالدة ، وهيهات أن تموت !

الجواب :

اولاً : ما مِن حيّ على وجهِ الأرض خالد !

ثانياً : يستحيلُ على كلّ لُغةٍ أن تبقى في معزلٍ عن تغير دائم ، يُفضي بها الى لغةٍ جديدة فصيحة ، ولو بعد أجيال . هكذا قد تحوّلت اليونانية القديمة الى حديثة ، وهكذا انتقلت اللاتينيّةُ ايضاً الى اللغات اللاتينية الحديثة .

ثالثاً : ان العربيّة نفسها قد تغيّرت تغيُّراً عظيماً ، من حين نشأتها الى اليوم . وحسبك ، إثباتاً لذلك ، أن تعمد الى مقالةٍ علميّة ، أو أدبية ، منشورة في احدى مجلّات العصر ، وتُقابلها بإحدى المعلّقات أو بما شئت من شعر العصر الجاهليّ ونثره .

الاعتراض الثالث :

أكبر مُصابٍ أن تفنى العربيّة الفصحى ، بعد أن عاشت قروناً عديدة !

أجزاء ، إن شاء الله . فيكون ذلك أفضل جوابٍ لمنْ قد لا تُقنعهم حججنا وبراهيننا التي أوردناها في هذه المقالة .

الجواب :

أجل ، ان ذلك لمصابٌ ، وايُّ مصاب ! ولكن ليس مدارُ الكلام هنا على العواطف والشواعر ، بل على العقل والبرهان. وإننا لنودُّ ، من أقصى الفؤاد ، لو يحيا آباؤنا وأُمهاتنا على الارض قروناً ! لكنّنا نحن أعجزُ من أن نجعل هذا الامر في حيّز الإمكان !

ثمّ اذا ارتقت اللهجاتُ العامّيةُ الى المستوى الأدبي ، وقامتْ مقام العربية الفصحى ، فذلك لا يمنعُ بقاءَ هذه العربية الفصحى مكرّمةً في المدارس ، محترمة ، لأنها أمٌّ لتلك اللهجات ، وهي غنيّةٌ في ضروب الآداب ؛ كما حصل للغة اللاتينية حيث زالت عن عالَم الكتابة الادبية في فرنسا ، مثلاً ، وهي مع ذلك لا تبرح ، ولن تبرح في المدارس على مجدهـا السابق وعزها السالف.

الاعتراض الرابع :

إن تمّ هذا الأمر ، يصبح اهلُ البلاد الناطقة بلهجات عربية مختلفة ، في حاجةٍ الى لغةٍ مشتركة ما بينهم ، تبادلاً للافكار.

الجواب :

كلّا ! فأيُّ مانع يمنع مِنْ بقاء العربية الفصيحة ، لُغَةً ثانويّة ،

تُساعد على سهولة العلاقات بين العلماء والأُدباء القاطنين في تلك البلاد ؟ ومهما يكن ، فعدد هؤلاء يسير ، مقابلةً بعامّة الشعب الناطق باحدى اللهجات العربيّة الاصل . وهذه العامّة تجني من توحيد لسانها ، اي من الكتابة باللغة العامية ، أكبر الفوائد .

الاعتراض الخامس :

هذا المشروع حُلمُ نائم ، لا يصحّ ، ولا يتحقّق ، ما دام على سطح الغبراء مسلمون !

الجواب :

كلّا ! كلّا ! فليس في يد إخواننا المسلمين أن يُغيّروا سُنَن حياة اللغات والشعوب ، ويقلبوها ظهراً لبطن . وهذه السنن ، كما رأينا ، مؤيدة لقضيّتنا ؛ وهل يمكن أمّاً ان تُعيد ابنها الكهل الى ربيع الحياة ؟ نعم إنّ العربية يُحتمَل ، بل يُرجّحُ بقاؤها في القرآن الى منتهى الأزمان ، ولكن لا ينتجُ عن ذلك ضرورةُ بقائها في البلاد العربية اللهجة ، كما هي الان ، أي اللغَة العربيّة الادبيّة الوحيدة . وكفى شاهداً على ذلك أن المسلمين من الترك والفرس والصينيين لا ينطقون بالعربيّة ولا يتكلمون بها ،

مع ان كثيراً منهم محافظون على القُرآن العربي (١.

الاعتراض السادس :

اللغة العامية عاجزة عن التعبير الادبي .

الجواب :

سبب هذا العجز قائمٌ إمّا في عدد ألفاظها ، أو في نوعيّة هذه الالفاظ . أمّا أن يكون في نوعية الفاظها ، اي في نوع الحروف والحركات ، فنكر : لان الالفاظ في جميع اللغات اصطلاحيةٌ هي ، لا معنى لها في حدّ ذاتها . ونحن نرى مع كلّ ذي نظر أن كلمة « رَجُل » ليست أفصح من « رِجّال » و « رِجْل » من « إِجْر » و « نهق الحمار » من « شهنق الحمار » ، و « قُنبُعة » من « قبّوعه » ، و « خان لنا » من « حَلْنا » ، و « تَخرْبَق » من « تخَرْبط » ، و « تحَرّشَ » من « تحَشّر » ، و « تَجشّأ » من « تدشّا » ، و « المباهرة » من « البهْوره » ، و « غاص » من « غَطَس » ، الخ .

---

١) لعلّ بعض القرّاء يجدون في الأفكار المسرودة في هذه المقالة ، جرأة وجسارة ؛ فنحن نُعلن أنّها أفكارٌ شخصيّةٌ لنا ، ونعتقد أنّها راسخةٌ على تأريخ اللغات البشرية ؛ لذلك رأينا أن نعرضها على الرأي العام ، لينتقدها ويُظهر صحيحها من فاسدها ، ولكن بعد أن يختبر ، في المستقبل القريب ، ما ننشره نحن ؛ أو غيرنا ، بهذه اللغة العاميّة .

وأمّا ان يكون العجز في قلّة الالفاظ، فمنكر ايضاً، لان «قاموس» اللهجة العامية السورية، فيهِ لا أقلّ من خمسة عشر ألف كلمة؛ و«قاموس» اللهجة المصريّة، المطبوع من عدّة سنين، فيهِ ما يُقارب هذا العدد. فكيف يُقال اذن، في لغةٍ ذلك هو عدد مفرداتها، انها عاجزة عن التعبير الأدبي، ولو كانت لا تستطيع الآن مجاراة العربية الفصيحة في غناها العجيب بالالفاظ والتعابير الشتّى؟ إنّ بين العجز والمقدرة لفرقاً عظيماً. فتلميذ صفّ الخطابة مثلاً، قادرٌ على التعبير العربيّ الادبي، وإن لم يستطع أن ينافس فيهِ الشيخ عبدالله البستاني، أو خليل بك مطران.

ثم إن اللغة العامية السورية، اذا استعملها مِئاتٌ من الأُدباء للتعبير عن أفكارهم وعواطفهم، لا تلبثُ أن تغتني بأُلوفِ المفردات والتعابير؛ ولا يمرُّ بها حين، حتى تستطيع مباهاة اللغة الفصحى! فإن اللغة الفرنسية لم يمضِ على نشأتها بضعة قرون، حتى جارتْ أُمها اللاتينية في غناها، بل فاقَتْها بمراحل!

الاعتراض السابع:

ان اللغة العاميّة غليظةٌ، سافلة.

الجواب :

هذا الاعتراضُ، اختلاقٌ محض ! فإنّ اللهجة السورية لألطفُ من لفظ العربيـة، وأظرف، بسبب تحوُّل الحروف الثقيلةِ الى حروفٍ ألطف وأسهل، كتحوُّل الذال الى زين أو دال، والثاء الى سين أو تاء، والقاف الى همزة، الخ. وإنّ كلمة «سافلة» لا محلّ لها هنـا أصلًا ! فأيُّ سفالةٍ في معنى كلمة «رِجّال» بدلًا من «رَجُل» و «مْدينِه» بدلًا من «مَدينة»؟ إن السفالة ليست هي في مفردات اللغة، لأنها اصطلاحيـة، بل ان السفـالة في الافكار والعواطف. وهذه إنّما تختلف باختـلاف الكَتَبة. فالفـاظ اللغة أشبهُ بآلات الطرب، فيمكنك أن تستعين بهذه الآلات على الترنُّم بمزامير داود، أو على التغنية بأقبح الاغاني. (١

---

١) للشاعر المشهور، رشيد بك نخله، قصـائد عديدة باللُّغة العاميَّة، يبلغ عددُ أبياتها، فيما قيل لنا، نحواً من ستة عشر ألف بيت. وقد ذكر لنا صديقنا، الطبيب الفاضل، حبيب ثابت، بيتين من مناظرة جرت بين شاعرين من قوّالي «المعَنّى»، فيهما من لطيف الابتكار ما يجعلهما جديرين بالذكر؛ ودُونكهما :

قال الأوَّل :

«أنا بَيّي الديك، وإمّي الزِنبركْ، وْرَضَّعوني من دواخين السّلاح !»

فاجابه الثاني :

«إنْ كان بيّك الديك،وإمّك الزِنبرك، بيَّك وإمّك تحتْ كبْسةْ إصبعي !»

نعم، إنّ في جميع لغات الأرض مئاتٍ من الالفاظ السافلة، وذلك إمّا لمعناها القبيح، أو لأنها حُصرت في دائرة أناسٍ سُقّاطٍ أراذل، ولكن يستحيل علينا أن ندّعي وجود هذين السببين في مجموع الفاظ لغة عاميّة، أيّةً كانت.

الاعتراض الثامن :

اللغة العاميّة محشوّةٌ بالاغلاط؛ فكيف يمكن أن تصير لغةً فصيحة ؟

الجواب :

مـا هذهِ اغلاطاً، بل هي أصولٌ لتلـك اللغة. فغلَطُ اللغة الفرنسية في قولك « la belle soleil »، هو في العربية صواب، حيث إنك تقول « الشمس الجميلة ». ذلك لأن لـكلّ لغةٍ قواعدَ خاصّة. وقد برهنّا، فيما سبق، ان اللغات العربية العامية لا يمكن أن يُقال عنها إنها اللغة الفصحى بعينها، أو إنّها لغاتٌ لا تختلف عنها اختلافاً يُذكر.

وإنّ وجود الشاربين على شفة الانسان، وهو ابن عشر

وإن نسينا الفاضل، المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني، قد بحث عن شيء من هذا الموضوع، في كتاب بيانه، الذي سمّاه «مطالع الاضواء، في مناهج الكتّاب والشعراء» حيث أفرد في صحيفة ١٧٠، باباً خاصاً، عنوانهُ « العامّة وعلم البيان »، فيحسن بك أن تطّلع عليه.

سنين ، يُعدُّ من جهة الطبيعـة خطأ ، لكنَّ وجودهما فيهِ ، وهو ابن عشرين ، هو الصواب عينه ، مـع أنَّ شخصيَّتهُ لم تتغيَّر .

وهـا نحن نوردُ للقرّاء تاريخ تحوُّل ثلاث وعشرين لغةً عاميَّة الى لغات فصيحة (١ فيرون بعد هذا البرهان الاستقرائي ، إمكانَ ، وسهولةَ تحوُّلِ العربية العاميَّة الى لغة فصيحة ، بل يتأكد لهم حينئذٍ أنَّ هذا التحوُّل واقع ، وسيتمُّ بإذن الله (١ ! وأكرِم بالشاعر الكبير ، حافظ بك ابرهيم ، حيث يقول في رثائهِ لقاسم أمين :

الحكم للأيام مرجعهُ
في ما رأيتَ ، فنمْ ، ولا تسلِ ؛
وكذا طُهاةُ الرأي تتركهُ
للدهرِ ، يُنضجهُ على مَهَلِ .

---

١) وربّما اعترض البعض وقالوا :

«من المحال أن تترقّى اللغة العاميّة بترقّي الشعب الى المستوى الادبي ، وتصير لغة تختلف عن العربيّة الفصحى اختلافاً يتزايد على توالي الاجيال . فالصواب أن اللغة العاميّة تقترب إلى الفصحى بترقّي الشعب في الحضارة . »

فنُجيب : انَّ تـاريخ الشعوب واللغات يُفنّد هذا الاعتراض تفنيـداً . فهو ، والحقيقة التاريخيّة ، عـلى طرفَيْ نقيض . وليذكر لنا المعترض ، إن استطـاع ، ولو بعد مراجعة أعظم العلماء اللغويين ، مثلاً واحداً يُؤيّد نظريّته تلك ، وهـذا في كلام عامّة الشعب والسواد الاعظم فيهِ ، لا في كلام الافراد من الخاصّة ، المتضلّعين من اللغة الفصحى .

بحث

في تحوُّل ثلاثٍ وعشرين لُغة عاميّة إلى لغةٍ فصيحة (١)

الفصل الأوَّل

طائفة اللُّغات اللاتينيَّة (٢)

أوّلاً ، الفرنسيّة (٣)

دخلت اللغة اللاتينيّةُ بلاد غالية (Gaule) في أوائل القرن الثاني، قبلَ المسيح ، وما مرَّ على ذلك اربعة قرون ، حتى كانت قد نابت مناب اللغة الغاليّة الاصليّة . وإنَّ هذه اللاتينيَّة لم تكن اللغة الفصحى التي كتب بها أمثال « فرجيل » و « شيشرون » ، بل لُغةَ الشعب ، وكانت تتباعد عنها تباعُدًا يزدادُ بتوالي العصور . وفي مطاوي القرنين ، الخامس والسادس ، امتزج بلُغةِ الشعب هذهِ ، الفاظٌ عديدة انسابت إليها من اللُّغة الجرمانيّة ، ولاسيا من التي كانت تنطق بها أهمّ القبائل المجاورة ، من مثل قبيلة الفرنكيين الساليّين (Francs Saliens) . وفي القرن السابع كانت لغةُ فرنسة ، بسبب هذهِ التطوُّرات ، تختلف عن اللاتينيّة

---

١) راجع Nouveau Larousse Illustré, dictionnaire encyclopédique en 7 volumes Hachette et Cie — Paris.

٢) اطلقنا كلمة « طائفة لغات » (famille de langues) على عدّة لُغاتٍ بينها تشابهٌ واضح ، يدلُّ على وَحدةِ أصلها .

٣) اذا شئت أن تطلّع ، بنوع جليّ ، على أهمّ ما جاء في تحوُّل كلٍّ من هذه اللغات الآتي ذكرها ، وترقيها من الطور العامي الى الطور الأدبي ، فانتبه للعبارات التي جعلنا تحتها « خطًّا » .

الفصحى ، وعن اللغات الجرمانية ، اختلافاً واضحاً . وفي القرنين ، التاسع والعاشر ، شرع بعض الفرنسيين في استعمال هذهِ اللُّغة بدلًا من اللاتينيَة الفصحى ؛ على أنَّ ميدان الآداب لم يتّسع أمامها إلّا في القرن الحادي عشر . وبين هذا القرن ، والقرن الرابع عشر ، بلغت اللغةُ الفرنسيَّةُ أشُدَّها ، وأصبحتْ قادرةً على التعبير عن أدقِّ الافكار والعواطف ، فكتب بها جماهيرُ الكتّاب آياتٍ خالداتٍ .

على أنَّ هذهِ اللغة الفرنسيّة بقيت مقصورةً على الآداب ، ومعدودةً في حُكم العدم لدى المفكّرين والعلماء ؛ فلم تخطُ خطوتها الأخيرة ، ولم تنُبْ عن اللاتينيَّة في مجال الكلام ، إلّا في القرن السادس عشر .

ثانياً ، الايطاليَّة

تكوَّنت اللغةُ الايطالية قبل القرن الحادي عشر ، ولم يتمّ صوغها إلّا في القرن الرابع عشر ، حين ظهر دانتي (Dante) وپترَرك وبُكّاتشِه (Boccace) أما أقدمُ كتابةٍ ايطالية ثابتةِ التاريخ ، فهي أُغنيَّة نظمها تشوللو دَلكامو (Ciullo D'Alcamo) في زُهاء السنة ١١٩٥ .

ثالثاً ، الاسبانية

في القرن الثامن كان بدء ظهور الالفاظ الاسبانية (أي اللغة العاميَّة) . ومن ثمَّ أخذ عددها يزداد في القرون التالية ، مع المحافظة على الكتابة اللاتينيَّة ، حتى القرن الثاني عشر ، حيث دخلت الاسبانيَّةُ في الطور الأدبي .

رابعاً ، الكاتالونيَّة

لغة كاتالونية ، وهي أغنى ولايات اسبانية ، وعاصمةُ هذهِ الولايات، مدينةُ « برشلونه » . أمّا مؤسس القوميَّة الكاتالونيَّة ، فهو الملك يعقوب الاول ، سنة + ١٢٧٦ ، وهو الذي جعل هذهِ اللغة لغةَ شعبها السياسيَّة، واستعملها في مؤلفاته ، بدلًا من البروفنسيَّة (provençal) ،التي كانت عندهم ، في ذلك العهد ، اللغة الكتابيَّة الوحيدة .

خامساً ، لُغةُ رومانية (الرومانيَّة)

هذهِ اللغةُ أصلُها من اللاتينيَّة العاميَّة التي أدخلها في داقيةَ (Dacie) جنودُ الامبراطور ترايان (Trajan) ، حين قهروا تلك البلاد واستولوا عليها ، سنة ١٠٧ ، قبل المسيح .ولم تدخل الرومانيَّةُ في طورها الأدبي، إلّا في القرن السادس عشر . وفي سنة ١٨٦٠ ، أُبدلت الحروف الروسيَّة المستعملةُ في كتابة اللغة ، بالحروف اللاتينيَّة .

الفصل الثاني

طائفة اللغات الجرمانيَّة

أوّلاً ، الانكليزيَّة

تكوّنت اللغةُ الانكليزيّةُ من عناصر شتّى مشتقَّةٍ من لغات الشعوب العديدة التي غزت بريطانية الكبرى وقطنت بها . وأهمُّ تلك اللغات : اللاتينيَّة (استولى اللاتينُ على هذهِ البـــلاد ، مدّة ثلاثة قرون ونصف

قرن) ، ولغة الأنكلين (Angles) والسكسون ، واللغة الفونسيّة بلهجتها النرمنديّة .

أمّا لغة الانكلين ولغة السكسون ، فقد توسّطتا بين الأخيرين في الاستيلاء على بريطانية العظمى ، ومنهما تكوّنت معظم مفردات وقواعد اللغة الانكليزيّة الحاضرة .

أما أوّلَ من كتب باللغة الانكليّة – السكسونيّة ، ورقّاها الى مستوى لغةٍ كتابيّة أدبيّة ، فهو الشاعر شانسر (Chancer) الذي عاش من سنة ١٣٤٠ إلى ١٤٠٠ . ومن العجب العُجاب أنّ هذهِ اللغةَ أضحت في أيّامنا هذه ، أي بعد شانسر بزُهاء خمسة قرونٍ فقط ، من أوسع لُغاتِ العالم آداباً وانتشاراً ، حيث صار عددُ المتكلّمين بها الان ، نحوًا من ٢٠٠ مليون ولم تُصبح الانكليّة – السكسونيّة لُغة مجلس الدولة ، إلّا في سنة ١٤٢٥ .

ثانياً ، الالمانيّة

هذهِ اللغةُ ينطق بها الآن نحو من سبعين مليون شخص . وهي مشتقّةٌ من الجرمانيّة الأصليّة ؛ ولم تدخل في الطور الكتابي ، إلّا في القرن الثامن . وأولُ مؤلّفٍ أدبيٍ كُتِب بها ، أُغنيّةُ « هِلْدبرَنْد » ، وذلك في القرن التاسع . وفي القرنين ، التاسع والعاشر ، ظهر بعض الكُتّاب المتشبّثين باللغة اللاتينيّة ، فكتبوا بها ، دون سواها .

ثالثاً ، الهولنديّة

الهولنديّة هي لغةٌ جرمانيّة مشتقّةٌ من مزيج بعض اللغات العاميّة المستعملة في تلك البلاد ، وهي : الفرنكونية الشرقيّة ، الفرنكونية

الغربيَّة ، السكسونية ، الفريزيَّة (frison) . أمَّا أوَّلُ مَن كتَب بالفرنكونية الشرقيَّة ، فهو هنري ڤن ڤلديكه (Van Veldeke) ، وذلك في القرن الثاني عشر . وفي القرن الثالث عشر ، شرع كثير من الكتبة يكتبون بالفرنكونية الغربيَّة ؛ وهكذا تكوَّنت الهولندية الكتابيَّة الحاليَّة ، شيئاً فشيئاً ، من مزيج اللغات العاميَّة الأربع المشار اليها . ومنذ أواخر القرن السادس عشر ، تغلَّبتْ اللهجةُ العاميَّة المعروفةُ بالهولنديَّة الدارجة ، على كلام الطبقة المتأدبة من الشعب وهذه اللغة تختلف اليوم عن الهولندية الكتابيَّة ، بل تؤثِّر فيها تأثيراً يُعتدُّ به . وإنَّ أدباء هولندة يسعون ، في أيَّامنا هذه ، لتوحيد اللُّغتين بتمحيص الهولنديَّة الكتابيَّة من كلِّ المفردات المماتة المهجورة ، وإدخال عددٍ كثيرٍ من الالفاظ الهولنديَّة الدارجة في لغة الكتابة .

رابعاً ، الدانيمركيَّة

هي لغة إسكنديناڤيَّة (Scandinave) ، ويُنطق بها في الدانيمرك . أمَّا في « نروج » فيُكتب بها فقط ، لانَّ الشعب النروجي يتكلَّم باللغة النروجيَّة . هذا ، وانَّ آداب الدانيمرك كادت ، إلى القرن السابع عشر ، تنحصر في الاغاني الشعبيَّة ، أعني الأغاني المكتوبة باللغة العاميَّة .

خامساً ، اللغة الأسوجيَّة

منذ سنة ١٢٥٠ إلى ١٤٠٠ ، لا نكاد نرى شيئاً مكتوباً بهذه اللغة ، سوى بعض شرائع . ولم يبدإ المؤرِّخون يكتبون بها ،

إلّا من سنة ١٤٠٠ . أما طورُ اللغة الأسوجيَة الحديثة ، فيمتدُّ من سنة ١٥٢٠ إلى ١٧٠٠ . وفي نهاية هذا التاريخ بلغت اللغةُ أشدَّها ، وظهرت بشكلٍ لا يبعدُ عن شكلها الحاضر .

الفصل الثالث

طائفة اللغات الصقلبيَة

أوّلاً ، الروسيَة

الروسيَة ، ولا يخفى لغةٌ يتكلم بها نحوٌ من ثمانين مليون نسمة . وكانت اللغةُ الصقلبيَةُ الكنسيَةُ لغةَ الكتابة عندهم ، وذلك إلى عهد بطرس الأكبر (١٦٧٢-١٧٢٥) . وهذه اللغة الصقلبيَة هي لغةُ الروس الكنسيَة إلى يومنا . وأوّلُ كتابٍ يشتملُ على قواعد اللغة الروسيَة ، أعني اللغة العاميَة ، نشرهُ ليمونوسف (Lemonosof) ، وذلك في سنة ١٧٥٥ ، فكان لهذهِ القواعد وقعٌ شديد في نفوس الأدباء ، وأثر في تكوّن اللغةِ الروسيَة الحاضرة أعظم تأثير . وهذهِ هي اللغة التي يُتكلَّمُ بها في مدينة « موسكو » ، وفيها بعض العناصرِ المأخوذةِ عن الصقلبيَة الكنسيَة . أمّا حروفُ الابجديَة الروسيَة فلم تظهر في صورتها الحاضرة إلّا على عهد القيصر بطرس الأكبر ، وذلك في اواسط القرن الثامن عشر .

وفي سنة ١٧٠٣ ، ظهرت أولُ جريدة باللغة الروسيَة . ولا يُعرف

التاريخ كتّاباً روساً كتبوا بالروسيّة الحاضرة ، إلّا منذُ النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

ثانياً ، الصربيّة — القرْواطيّة

هذا الاسم هو الاسمُ العلميّ للغةِ الرسميّةِ في يوغوسلافيــة ؛ وهي مشتقّةٌ من اللغة العاميّة التي ارتقت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر إلى مرتبة لغةٍ كتابيّةٍ أدبيّة ، وذلك بفضل بعض شعرائهــا القُرواطيين (croates) ، وهم العنصر الكاثوليكي في يوغوسلافية . أمّا بين الصرب ، المنفصلين عن الكنيسة الكاثوليكيّة ، فلم تُكتب اللغةُ العاميّةُ ، خـاليةً من العناصر الصقليبّة (Slaves) الكنسيّة ، إلّا في أواسط القرن الثامن عشر .

ثالثاً ، اللغة البوهيميّة

لم تُكتب هذهِ اللغةُ إلّا في القرن العاشر ، ثمّ بلغت من الآداب مبلغاً وافراً . ولمّا كانت سنة ١٦٢٠ ،حارب النمسيّون البوهميّين وانتصروا عليهم في جوار مدينة براغه (Prague) ، فكــان انكسارهم سبباً لاندثار لغتهم ، ولم تقم من قبرها إلّا في أوائــل القرن ١٩ ، وذلك ، خصوصاً ، بفضل الشاعر الكبير حنّا كولّار (Kollar) الذي شرع ، سنة ١٨٢١ ، ينشر قصائده البوهيميّة ، فكان لها تأثير عظيم في انبعاث هذهِ اللغة . ومن ذلك الحين أخذت البوهيميّةُ ترتقي وتتشدّد ، حتى بلغت أوج الكمال ، وصارت تُعدُّ بين اللّغـاتِ الاوربيّةِ ، الغنيّة في الآداب والعلوم .

رابعاً ، اللغة البولونيَّة

لم تُكتب هذه اللغة إلّا في أوائل القرن الرابع . وفي عهدِ كازيير الكبير (١٣٠٩–١٣٧٠) أدركت هذه اللغة عصرها الذهبيّ الأوّل .

خامساً ، اللغة البلغاريَّة

تسلّط التُركُ على الشعب البلغاري ، سنة ١٣٩٦ ، وساروا فيهم بالجور والظُلم . واستمرّ نيرُ الترك يثقلُ على هؤلاء حتى قام فيهم بعض الوطنيين ، من مثل سوفروني وپائيزي (Sofroni, Païsi) وحاولوا نشر القوميَّة البلغاريَّة بإنهاض اللُغة العاميَّة . وظهر الشاعر سلاڤايكوف (Slaveïkof) [١٨٢٧–١٨٩٥] ورقّى اللغة العاميَّة الشائعة في مدينة ترنوڤو (Tarnovo) إلى مرتبة لُغةٍ أدبيَّةٍ ، فانتشرتْ في جميع البلاد البلغارية .

سادساً ، السلوفانيَّة

هذهِ اللغة ينطق ويكتب بها السلوفان ، وهم أحد العناصر الثلاثة الرئيسيَّة في يوغوسلافية . أمّا أقدمُ آثار السلوفانية المكتوبة ، فترتقي الى القرن العاشر ، وهي نادرة جدًّا . وبعد ذلك هبط شأن هذهِ اللغة حتى وصل القرن السادس عشر ، فعادتْ ، إذ ذاك ، إلى النهوض .

الفصل الرابع

لغاتٌ من طوائف شتّى

أوّلاً ، المجريّة

إنّ المجر يَعدُّون المطران بطرس پازماني (Pazmany) الكاثوليكي (١٥٧٠–١٦٣٧) مؤسّسَ النثر الادبيّ المجري . على أنّ آداب هذهِ اللغة لم تترقّ إلّا بنوعٍ بطيءٍ جدًا ، بسبب الحروب الدائمة التي استعرتْ سنين كثيرةً بين المجر وجيرانهم ، حتى يسوغ القول إنّ الآداب المجريّة الحديثة وُلدتْ في أواخر القرن الثامن عشر .

ثانياً ، اليونانيّة الحديثة

إنّ اللغويين يعدُّون اليونانية القديمة من أجمل اللغات قاطبةً . وهذهِ اللغة ، ولا يخفى ، قد استمرّتْ ، مدّة الأمبراطوريّة الرومانيّة ، اللغةَ الشائعة في كل المشرق ، وذلك إلى أواسط القرن الخامس عشر .

وبعد فتح الاتراك للقسطنطينيّة ، حاول الأُدباء أن يكتبوا بتلك اللغة القديمة المختلفة كثيرًا عن اللغةِ العامية ، لكنّ مؤلّفاتهم جاءت قليلة العدد ، وذات قيمةٍ لا تُذكر . وفي القرن ١٨ ، أقدم فريقٌ من الأُدباء على إيجاد لغةٍ أدبيّةٍ جديدة ، تكون مشتقّةً من اللغة القديمة ، ومن العاميّة ، واتخذوا الاستانةَ مركزًا لمباحثهم . وبعد أن نهض اليونان لإسترجاع استقلالهم ، سنة ١٨٢٧ ، وأصلوا الاتراك حرباً شعواء ،

ونالوا الوطر في موقعة ناڤارين (Navarin) ، شرعوا في نهضةٍ أدبيّةٍ جديدة .

ومن زُهاء ستين عاماً ، قام نفرٌ من الأُدباء وجعلوا يكتبون باللغة العاميّة على عِلّاتها . فانتشرت هذهِ الحركةُ المباركةُ ، واخذت تزدهرُ شيئاً فشيئاً ، وهي لا تزال على تقدّمٍ وفلاح ، رغم ما يعترضُها من المقاومات والمصاعب . وإنّ الكثيرين من اليونان لا يزالون محافظين على اللغة الوُسطى التي سبق الكلامُ عنها ، مع أنّه لا يُوجد في طول بلاد اليونان وعرضها من ينطقُ بها . وقد أصبحتْ هذه اللغةُ اليونانية العاميّة ذات آدابٍ وافرة ، ووُضع بها كثير من الكُتُبِ المتنوّعةِ نثرًا ونظماً ، وسيكون لها مُستقبلٌ باهرٌ ، بدليلِ تواصُل ازدهارها . ومن المؤمّل أنّها ستنوب ، هي وحدها ، منابَ اللغةِ الوُسطى .

ثالثاً – الفِنلنديّة

هي لغةُ فنلندة ، مقاطعة في شماليّ روسية . وهذهِ البلاد نالت استقلالها ، بعد الحرب الكبرى . ولُغتُها هذه ، ينطق بها مليونا نسمة . وكان أُدباء بلادها لا يكتبون بها ، بل باللغة الأَسوجيّة ، بسبب نفوذ الاسوجيين السياسيّ والأدبيّ فيها . ولكن ، ما نشر الياس لونروت (Loennrot) ، سنة ١٨٣٥ ، أغاني شعبيّةً مكتوبةً باللغة العاميّة (هذهِ اللغة العاميّة ترتقي الى العصور القديمة) حتى أخذت الحركة الفنلنديّة الأدبيّة تتّسعُ اتساعاً ، وهي لا تزال ، الى أيامنا ، ترتقي وتُجاري الحركةَ الأدبيّةَ الأسوجيّة ، فنبغ في ظلّها رجالٌ أنالوها في العالم المتمدّن شُهرةً واسعة ، وذلك في اقل من قرنٍ واحد .

رابعاً ، التركيّة

إنّ اللغةَ التركيّة المكتوبة (أو الأدبيّة) تختلف عن التركيّةِ العاميّةِ ، في اللفظ وقواعد الصرف والنحو ، بعضَ الاختلاف .

على أنّ مُعجمها (قاموسها) يمتاز كثيراً عن مُعجَم اللغة العاميّة ، وذلك لأنّ قد دخلها ، دون العاميّة ، ألوفٌ من الالفاظ العربيّة والفارسيّة وغيرها . لكنّ فريقاً من الأدباء حاولوا ، قبل الحرب الكبرى ، أن يرفعوا من التركيّةَ الأدبيّة تلك المفردات الاعجمية ، ويستبدلوا هذهِ العناصر الدخيلة ، بمفرداتٍ تركيّة ، أو بألفاظ تُنحَتُ من أُصولٍ تركيّة . وإنّ حكومة أنقرة تُؤيّد ، في أيّامنا ، هذا الرأي ، وتسعى لتحقيقه ، فيحصل عن ذلك توحيدٌ يجمع بين اللغتين ، الأدبية والعاميّة ، بحيث يقرّبون الفاظ اللغة الفصحى الى الفاظ اللغة العاميّة .

وهنا ، يحسُن بنا أن نُطلع القارئ الكريم أنّ الجملة التركيّة كانت ، مدّة قرونٍ عديدة ، طويلةً معقّدةً ، على مثال الجملةِ الفارسيّة . ولكنْ ظهرت ، في أواسط القرن الأخير ، حركةٌ أدبيّةٌ حملتْ على هذه الجُملةِ فغيّرتها وصيّرتها خفيفةً ، رشيقة ، منسجمة ، فصارتْ تُحاكي الجملة الأدبيّة في مُعظم اللغات الأوربيّة . وهكذا قطعتِ الآدابُ التركيّةُ أكثر القيود التقليديّة التي كانت مُكبَّلةً بها ، فمهّدتْ لنفسها سبيلاً جديداً ظهرتْ فيهِ مُحلاّةً بأجمل الحُلى الأدبيّة (١) .

---

١) راجع مقالةً لنا ، عنوانها « تحسين اللغة العربيّة » ، منشورةً في كتابنا « درس ومُطالعة » الذي طبعناهُ حديثاً .

خامساً ، الهنديّة والأرديّة

الهنديّة لغة مشتقّة من البَراكريتيّة (prakrit) ، ينطق بها الآن نحوٌ من ٨٠ مليون شخص ، وهم في الجهة الوسطى من الهند الشماليّة . وقد كانت الهنديّةُ ، أوّلَ نشأتها ، لغةً عاميّةً ، يُتكلّم بها ولا يُكتب ، فتحولت شيئاً فشيئاً إلى لغةٍ أدبية . وفي أنحاء القرن الحادي عشر ، تفرّع من الهنديّة القديمةِ ، بتأثيرِ المسلمين ، لغةٌ جديدة تُسمّى الأُرديّة (ourdou) ، وهي تُكتَب بالحروف العربيّة ، وقد أخذتْ عن العربيّة أُلوفاً من الألفاظ ، بعكس الهنديّة ، فهي تُكتَب بحروفٍ غريبة ، تُدعى ديفاناكاريّة (dévanagari) ، وهذه ليس فيها من الكلمات العربيّة ما يُعتَدُّ بهِ .

وإنّ اللغة الأُرديّة كانت ، في أوّل عهدها ، لغةً عاميّةً أيضاً ، يُتكلّمُ بها ولا يُكتَب . وقد صار لها الآن آدابٌ واسعةٌ تشتملُ على آلافٍ من مختلف المصنَّفات نثراً ونظماً . وبها يتكلّمُ ويكتبُ نحوٌ من خمسة وعشرين مليوناً من مُسلمي الهند ، وهم قاطنون في شماليّ تلك البلاد .

سادساً ، الفارسيّة الحديثة

في أوائل القرن الحادي عشر ، ظهرتْ هذهِ اللغةُ بمظهر لغةٍ أدبيّة ، وذلك بعد أن كانت خاملةً على إثر افتتاحِ العرب للبلاد ، وإيجابهم على السُكّان أن يعتنقوا الدين الإسلامي ، وأن يتكلّموا بالعربيّة .

وهذهِ الفارسيَّة الحديثة ، هي اللغة العاميَّة القديمة ، التي دخلها ألوف من الالفاظ العربيَّة .

سابعاً ، المالطيَّة

يَنطق بالمالطيَّةِ نحوٌ من ٢٠٠،٠٠٠ ألف نسمة . وهذهِ اللُّغة هي إحدى اللهجات العربيَّة العديدة . ومن مميّزاتها كثرةُ الألفاظ المأخوذةِ عن الايطاليَّة . لكنَّ قواعد الصرف والنحو فيها ، كقواعد العربيَّة ، على وجهِ العموم ، ويُلفظ بها كالعربيَّة أيضاً .

وهذه اللغة المالطيَّة هي أوَّلُ اللغات العربيَّةِ العاميَّةِ التي ترقَّت إلى مرتبة الآداب ، بفضل نشاط أهلها . ومن غرائب أمرِها أنَّها تُكتَبُ بالحروف اللاتينيَّة ، طلباً للوضوح . ولذلك حُذفت منها الحركات العربيَّة .

أمَّا الآداب المالطيَّة فليستْ غنيَّة ، لكنَّ فيها من الكتب عدداً غير يسير . ومن زمنٍ غير بعيد ، أخذت الجرائد والمجلّات تستعملُ هذه اللغة . ومن زُهاء عشرين سنة ، نُشر لها مُعجمٌ وكُتُب قواعد . وقد اطّلعنا على مطبوعات مالطيَّة ، فأدهشنا إتقان طبعها وما بها من الرسوم والصُّوَر ، ورأينا أنَّ للشعر فيها أصولاً مُحكَمة . ووقعنا على مجلّة « قلب يسوع » مطبوعة بها أيضاً ، وهي قد استعملت جميع علامات الوقف الافرنجيَّة . أمَّا عبارةُ هذه اللغة ، ففصيحة ، منسجمة .

ذلك ، ولا نُنكر أنَّ بعض الخاصَّة من أهل مالطة وغودش يتعلَّمون ايضاً الايطاليَّة والانكليزيَّة ، لاحتياجهم الى الأولى في المعاملات والتجارات وكُتُب الشرع ، ولتنافسهم في الثانية ، لكونها لغة أرباب الحكم ؛

غير أنّ الشعب يتكلّم بالمالطيّة . ونحن عـلى ثقةٍ من أنهُ لا يمرُّ نحوٌ من خمسين سنة حتى تسود هذهِ اللغة وتستأصل الايطاليّة والانكليزيّة من أرض الجزيرة . ، ولو كان المرحوم فـارس الشدياق حيًا بعد ، لغيَّر أحكامه في اللغة المالطيّة ، وأسقط من كتابه « الواسطة في أحوال مالطة » ما صبّهُ على هذهِ اللغة من عبارات الاستخفاف والتهكّم ، من مثل قوله فيها :

« تبًا لهـا لغةً بغيرِ قراءةٍ وكتابةٍ ، عينٌ بلا إنسان ! »

وها نحن نُطلع القرّاء على صلاة « السلام الملكي » فيها .

Slima ghalik (1), Maria, bil grazia mimlia, Issiniur Alla mighak. imbierk inti fost innisa, u imbierk il frott tal giuf tighak, Gesu.

Kaddisa Maria Omm t'Allah, itlob ghalina, midimbin, issa u fissigha tal meut taghna. Amen (2)

---

١) إن حرفي « gh » يُلفظـان كالعين العربيَّة ، وحرفي « ch » كالكـاف » ، وحرف « u » كالواو » . وليعلم القارئ أن ليس في اللغة المالطية فرقٌ بين صيغة المذكّر وصيغة المؤنث .

٢) دونكَ ترجمة هذهِ الصلاة باللفظ العربيّ العامّي :

سْلِمَا عَلِيكْ « مـارِياً » بالجراسيـا (grace) مِمْلِيَّهْ السِّنْيُور أَلله مِعَكْ ؛ إِمْبِيرْكْ (مبارك) إِنْتِي فُسْطْ النّسا ، وإِمْبِيرْكْ إِلْفْرُوتّ (fruit اي ثمرة) تَلْجِيُوف تِبْعَكْ دجيزو (gesu أي يسوع) . قدّيسا ماريًا ، أُمْ تَلَّه (أم الله) إطْلُبْ عَلَينا مِدْنْبين ، إسَّا وفي السِّيعه تلْمُوت (اي « تبَع » الموت) تَغْنـا (أي « تَبَعنا ») . آمين .

الخـاتمة

لقد أثبتنا قضيَّتنـا هذه ، بأقوى البراهين ، وعزّزناهـا بأوضح الأمثال ، ونقضنا جميع ما قد يبدرُ إلى ذِهن القارى من الاعتراضات والحجج .

وها نحن ، في هذهِ الخاتمة ، نجمع أخصّ أدلّتِنا ، ونحملُ بها على اولئك المعترضين ، حملةً لا يكونُ وراءها إلاّ أكِلّةُ النصر والظفر . وغايتُنـا من كلّ ذلـك ، لا أن نُلغي اللغةَ العربيّة الفصحى ، من عالم الكتابة — ونحن من الذين خدموا رايتها سنين — بل قصدُنا أن يعترف الأُدباء لِلُّغة العاميّةِ بحق الظهور في عـالَمِ الآداب ، سواء كان ذلـك في المدارس أو الجرائد أو الكتب أو المواعظ أو الخُطب . فها قد مضى عـلى هذهِ اللغةِ العاميّةِ سنون ، وهي تُقاسي من ازدراء الأُدباء لها ، أشدّ مرارة ! كيف لا ، وهي ، في وطنها ، ترى عـلى أبواب جميع المدارس والمعابد ، لائحةً جائرةً ، كُتبَ عليها : « محظورٌ على اللُّغة العاميّةِ أن تدخل هنا ! » فما معنى هذا الإعـلان ، وما الداعي لهذا المنع ؟ فلو كانت اللغة العـاميّة لابسةً ثياباً قذرة ، ممزّقة ، لكان لمن كتبوا تلك اللائحة بعضُ العذر ؛ لكنّنا نراها نظيفةَ الثياب ، خفيفة الظـلّ ، حبيبةً إلى قلب

الشعب ، قريبةً إلى كلّ أحد ؛ فمنعها من الدخول الى تلك الاماكن ظلمٌ ، وأيُّ ظلم !

فلو كان رجالُ الدين وأربابُ المدارس لا يأذنون في الدخول الى المعابد أو المعاهد إلّا لمن كان لابساً أفخر الثياب ، ويمنعون كلَّ مَنْ عليهِ ثيابٌ من كتّانٍ أو قطن ، لأتوا عملًا إذًا يُنكرهُ الحقّ والعدل ! تلك هي حالةُ اللغةِ العاميّة مع من يُريدون صدّها عن الولوج الى الأماكن التي ذكرنا . وإذا قال المعترضون إنّ اللغةَ العاميّة لغةٌ سافلة ، ساقطة ، أجبناهم مع كلّ عاقل ، وقلنا إنّ لُغةً ينطق بها جميعُ أهل الوطن ، من بطاركةٍ ، ومُفتين ، ومطارنةٍ ، وقُضاةٍ ، ومشايخَ ، وكهنة ، وأكابرَ ، وسادةٍ ، وعلماء ، لأبعدُ من أن تكون لغةً ساقطة !

وإيضاحاً لحقوق هذهِ اللغة العاميّة ، نذكر ثلاثة أمور :

ألأوّل ، إنّ خمسةً وتسعين في المائة من الشعب اللبناني ، يتعذّرُ عليهم أن يتعلّموا اللغةَ الفصحى تعلُّماً كافياً ، يُوصلهم الى درجةٍ يستطيعون فيها فهمَ ما تنشرهُ الكتبُ والجرائدُ والمجلّاتُ ، من الأخبار العلميّة والفنيّة ، الخ . ولقد ضلّ كلّ ضلالٍ من اعتقد أنّ في يد الفلّاحِ الاميّ أن يقضي في المدارس الراقية ، سبع سنين وأزيد ، حتى يتضلّع من تلك اللغة العربيّة الفصحى ، التي هي من أصعب لُغاتِ الأرض .

الثاني ، إنَّ الشعب يتضوّر جوعاً الى الاطّلاع على ما يجري في هذا الكون ، وهو يطلب خبز الدِّين والمعارف ، وما من يقدِّمه له ! وكم من فلَّاحٍ أُمّيٍّ يودُّ ، ويشتهي قراءة الكتُبِ الدينيَّة وسِيَرِ الأولياء والقدّيسين ، ولا يستطيع ، لعجزهِ عن الوصول الى التفقُّهِ في اللغةِ الفصحى ، لشدَّةِ صعوبتها ، كما سبق الكلام . فحرامٌ ، وألف حرام أن تحرموهُ فوائد الدنيا والآخرة !...

فلو أنَّ الحكومة قامت ، في هذا العصر ، عصرِ الحرّية ، واتّخذتْ لها أهراء واسعة ، وجمعتْ فيها جميع غلَّاتِ الوطن ، واحتفظتْ بها لبعض الخاصَّة ، ومنعتِ الشعب من الوصول الى القوت ، لهجم الشعبُ على تلك المذاخر ، ولو دونها أُلوفُ المدافعِ ، وحطَّمها تحطيماً ! وإنَّ جوع العقل البشري ليفوقَ جوعَ الجسد الى الطعام !

الثالث ، إنَّ الشعب مُتعلِّقٌ كلَّ التعلُّقِ بلُغةِ آبائهِ وأُمّهاته ، وما هذهِ اللغةُ إلَّا اللغة العاميّة !

لِنَفْرِضْ أنْ شاهدنا ، صباح غدٍ ، نُعاةً في الشوارع ينعون اللُّغةَ العربيّةَ الفصحى ، ويُخبرون بموتها ، فما يكون عددُ الذين يبكون عليها في لبنان ؟ إنَّ هذا العدد ، ولا ريب ، لا يبلغُ واحداً من ألف !

أمّا، لو أخبر الناعون بموت اللغةِ العاميّة، أو أصدرت الحكومة أمرًا منعتْ فيهِ اللبنانيين من التكلّم بهذهِ اللغة، وتهدّدت المخالفين بأشدّ عقاب، فما يحلّ بالبلاد؟ لعمري! انّ الشعب بأسرهِ، ينهض إذ ذاك، ويثور على الحكومة ثورةً لم يذكرِ التاريخُ لها شبيهاً! ذلك لأنّ هذهِ اللغةَ العاميَّة هي حياتُنا! أمّا اللغةُ الفصحى، فهي مقصورةٌ على بعض المتأدّبين؛ وما عددُ هؤلاء بالقياس إلى عامّة الشعب؟!

وقد وافق على مشروعِنا هذا غبطةُ السيّد الياس الحويّك البطريرك اللبناني الكبير، وجميعُ الذين مكّنتْنا الفرصة من إطلاعهم عليه، من مثل أصحاب السيادة، المطارنة: عبدالله خوري، واغناطيوس مبارك، وميخائيل أخرس، وبولس عقل، وبطرس الفغالي، وبشاره الشمالي، والاب يوسف مبارك، رئيس المرسلين اللبنانيين العامّ، والاب انطون حبيب رئيس المرسلين البولسيين العامّ، والمونسنيور بطرس مبارك، والمونسنيور الياس ريشا، والاب بولس طعمه، كاتب أسرار البطريركية المارونية، فضلاً عن عددٍ كبير من الكهنة الأجلاء، وكبار المفكّرين، من مثل اللغوي المشهور، الشيخ عبدالله البستاني، والشيخ أمين الجميّل، والاب اغناطيوس جعجع، الخ. ولم تكن موافقةُ جميعِ هؤلاء

المفكّرين ، على هذه القضيّة الخطيرة الصائبة ، إلّا لما رأوا ما يصدر عن تحقيقها من الخيرات الروحيّة والزمنيّة ، لعامّة الشعب اللبناني ، بل لعامّة الشعوب السوريّة كلّها .

ولقد أدرك علماء أوربّة أنّ للّغات العاميّة حقّاً في الحياة ، فلم يُهملوها ، رغم خُلوّها من الآداب ، بل قضوا قسماً كبيراً من حياتهم في تعزيزها ودراستها .

وأنّى لأولئك العلماء الأعلام أن يزدروا شأن هذه اللغات العاميّة ، وهي لغاتُ مُعظم أهل الأرض ! وممّا لا ريب فيه ، أنْ ليس بين الألفي لُغةً التي درسها العلماء اللغويّون ، إلّا نحوٌ من مائتي لغةٍ لها آداب . ومن جملة هذه اللغات العاميّة ، اللّهجاتُ العربيّة ، من مالطيّة ومراكشيّة وتونسيّة وطرابلسيّة ومصريّة وسوريّة وعراقيّة ، فضلاً عن لهجات شبه جزيرة العرب .

وإنّ في مجموعة « The Gospel in many tongues » (أي الأناجيل بلغاتٍ عديدة) ، مثلاً لخمسٍ من هذه اللّهجات . وبين لغات هذا الكتاب ، وعددُها ٥٤٣ وأزيد ، لا أقلّ من ٣٥٠ لُغةً يُنطَقُ بها ولا تُكتَب (أي لغات عاميّة) . فعمدتْ « شركةُ التوارة الانكليزيّة والأجنبيّة » إلى ترجمة وطبع اهمّ اجزاء الكتاب المقدس ، باللّهجاتِ العاميّة ؛

ومركز هذه الجمعيّة في مدينة لوندرة . وفضلًا عن تلك اللغات البالغ عددها ٥٤٣ ، يوجد ايضاً نحوٌ من ١٥٠ لغة أخرى عاميّة ، تُرجم إليها قسمٌ وافر من الكتاب المقدّس ، فتأمّلْ (١) ...

وإليك دليلًا آخر على عناية اولئك العلماء ، تجدهُ في مجموعة هَرتلين (Hartleben) ، وفيها ١٢٩ كتاباً ، وهي معاجم وكتب نحوٍ وقراءة في نحوٍ من ٧٠ لغةً مشهورة . وقد جعلوا في هذهِ المجموعة محلًّا لمجلّدَيْنِ ، أحدهما في اللغة المصريّة العاميّة ، والآخر في شقيقتها السوريّة ، فضلًا عن مجلّد ثالث ، في العربيّة الفصحى .

خلاصةُ القول

أوّلًا ، اذا كان القارئ لا يعترف ، بعد جميع هذه الادلّة ، بحقوق لُغتنا العاميّة ، ولا يأذن لها بأن تظهر في عالَم الآداب ، فلا يبقى لنا إلّا أن نطلب منهُ أحدَ أمرين :

فإمّا أن يُبرهن لنا ، نظريّاً ، على إمكان ترقّي اللغةِ العاميّةِ ، وعَودتها الى اللغة الفصحى التي اشتقّت منها هذهِ العاميّة ، ويأتينا ، ولو بمثلٍ واحدٍ على ذلك ! وإمّا أن يذكرلنا

---

١) دونك مثلًا من اللغة العاميّة في الجزائر ، مطبوعاً بالحروف الجزائريّة ، في « المجموعة » السابقة الذكر :

« على خاطر هكذا حبّ الله العباد حتى سلّم في ابنُه الوحيد الفريد باش (حتى) ما يتْهلك شي كلّ من يأمن به لكن لهُ الحياة الدايمة »

شعباً واحداً ، بلغ درجةً من التمدُّن راقية ، وبقي محافظاً على لُغتين ، إحداهما للتكلُّم ، والأُخرى للاداب .

ولكن هيهاتِ أن يتمكَّن أحدٌ من تفنيد قضيّتنا هذهِ ، ولو بواحدٍ من هذين الأمرين !

ثانياً ، ان هزَّ المعترض عِطفَيه ، ومرَّ ولم يُجِبْ على هذا الاقتراح ، فنقول لهُ إنَّ هزَّ العِطفين لأبعدُ من أن يكون برهاناً ، ونزيد على ذلك أَنّنا لفي غنًى عن جوابه !

ولو فرضنا - وهذا محال - أنْ هبَّ أدباء العصر لمقاومة قضيّتنا ، فنقول - ولا نبالغ - إنَّ هذهِ القضيّة ، في حدّ ذاتها ، لصائبة ، وإنَّ دخولها في حيّز الوجود سيلاقي أمام الشعب اللبناني ، أي ٩٥ من المائة فيه ، أعظم رواجٍ وأشدّ فلاح !

ونضيف على ذلك ، ونقول إنّنا في غير حاجةٍ إلى من يُؤيّد رأينا هذا ، فإنَّ في هذهِ البلاد ، كما قلنا ، آلافاً من أبناء لبنان ، يتضوّرون جوعاً إلى آداب راقيةٍ ، قريبةِ المنال ، عذبة اللّفظ ، مكتوبة بلغتهم . وجميع هذه الشروط لا تجتمع إلّا في اللّغة العاميّة ، التي نحنُ أوّلُ أنصارها ، لا بالكلام الفارغ ، بل بأمتن البراهين التاريخيّة ، واللغوية ، والفلسفيّة .

مُنذ حين ، قرأنا في جريدة « البرق » الغرّاء ، مقالة دبّجها يراع الاستاذ راجي الراعي ، وممّا جاء فيها أنَّ

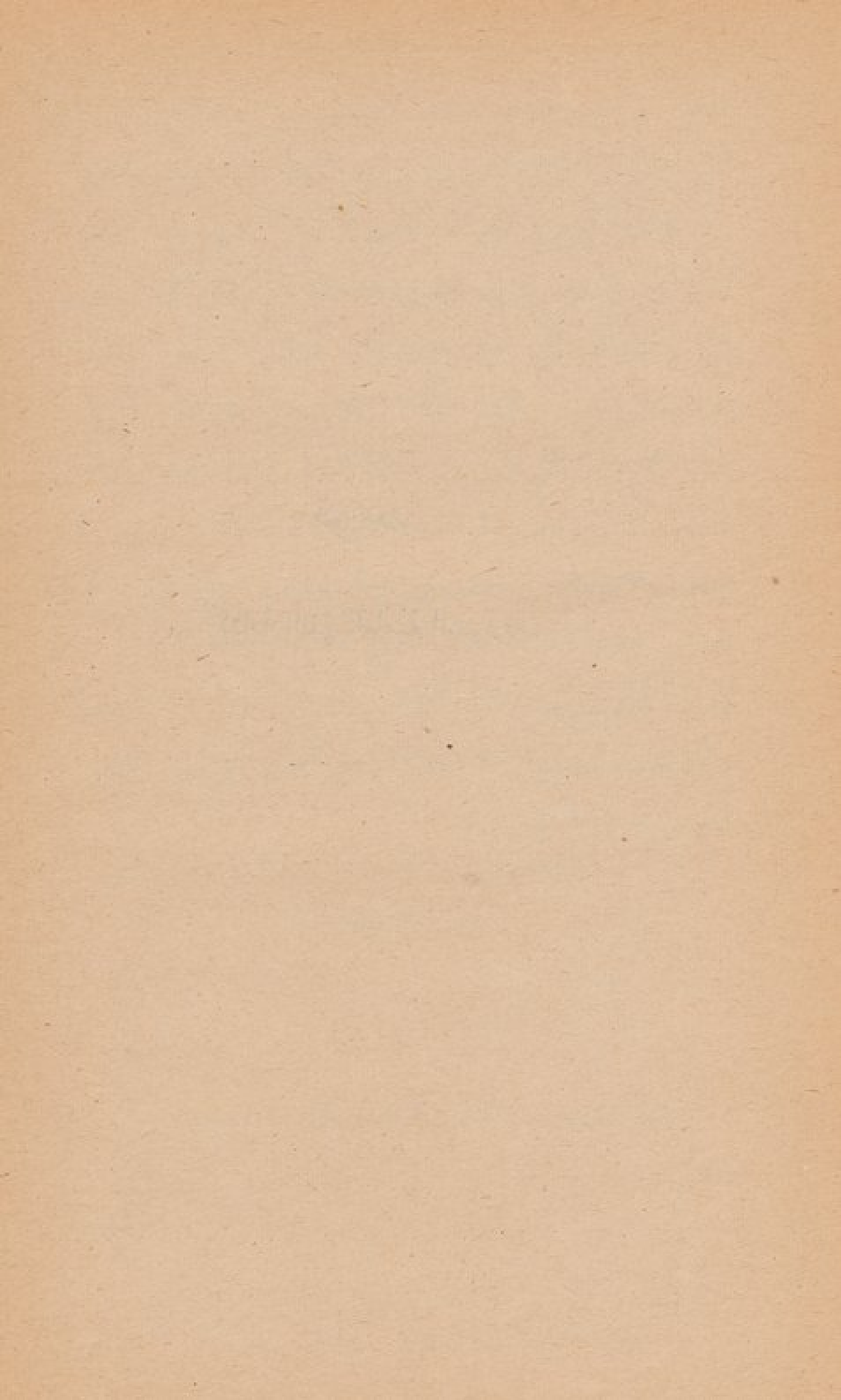
الوطن لا يصير وطناً حقيقياً ، ما لم يصرِ الفلاح اللبناني يُسرع الى قراءة الكتب والجرائد والمجلات ، ويفهم ما فيها .

ونحن نجيب الاستاذ الراعي ، وكلّ مُحبٍّ لهذا الوطن ، ونقول : لا وسيلة إلى تحقيق هذه الأُمنيّة ، إلّا في أن نسعى لإزالة الحوائل التي تحول دون الوصول الى ما نريد ، وذلك بأن نبذل المال ، ونُجرّد الأقلام ، ونبدأ ، من الآن ، بتعزيز لغتنا العاميّة ، التي هي وحدها لُغة الشعب . وما من وسيلة الى ذلك الّا بأن ننشر جرائد ومجلاتٍ وكتباً (١) تبحث عن المعارف ، والعلوم ، والفنون ، والصناعات ، وفي كل ما فوق الشمس وتحتها ! ولكن هذه المباحث مكتوبة باللغة العاميّة ! والله وحدَه أعلَم بما يصدرُ عن ذلك من الفوائد الوطنيّة ، والعلميّة ، والاجتماعيّة ، والدينيّة ، لهذا الوطن الذي آلينا أن نُخلص له الخدمة ما بقيتْ فينا حياة !

لُغةُ الشعب حياتُه ، ولُغتهُ المكتوبة خلودُه !

قواعد

كتابة اللغة العامّيّة السورية



قواعد

كتابة اللغة العاميّة السوريّة

تمهيد

من المعلوم أنه لم يسبق أحدٌ بعدُ إلى وضع قواعد الكتابة للّغة العاميّة السوريّة ، لذلك رأينا أن نُشرع إلى وضعها على أسهل طريقة وأهون منوال ، بحيثُ نُبعد عن كتابة هذهِ اللغة العزيزة ، جميعَ المصاعب القائمة أمام كتابةِ اللّغة الفصحى ، وهكذا تُصبح اللغة العاميّة قريبة المنال ، منقادةً لكلّ أحد .

وهذهِ اللغةُ الافرنسيَّة — وهي من أكمل لغاتِ العالم المتمدّن — لا يزال في قواعد كتابتها ، مصاعب لا يُستهان بها : فكم من كلمة فيها ، تُكتب بخلاف ما يُلفظ بها ، كقولهم ، مثلًا : « nous disons » ، فإن الحرف « S » لا يُلفظ في كلّ من هاتين الكلمتين . لكنّ أرباب المشيخة العلميَّة الافرنسيَّة ، دائبون على إزالة هذهِ المشاكل الكتابيَّة ، وساعون رويدًا ، رويدًا ، لِفكّ هذه القيود ، قيدًا بعد قيد .

لذلك رأينا من الحكمة أن لا نضع في أساس هذهِ القواعد أقلّ صعوبةٍ تلومُنا عليها الأجيال الآتية .

مبدأٌ عام

المبدأ العامّ في كتابة اللغة العاميَّة السوريّة ، أن يكون بين اللفظ والكتابة موافقةٌ تامّة ، أي ان تُكتب الكلمة كما تُلفظ . وعلى هذا

المبدإ لا نفصل في الكتابة ما لا ينفصل في اللفظ، مثلاً : « كتبلك » بدلًا من كتب لك . « عَمْبِدْرُس » بدلًا من « عَمْ بِدْرس ».

الفصلُ الأوّل

في الحروف

الألِف ، تُكتب أبدًا بصورة الأَلف ، ولو كانت في بعض الكلمات منقلبةً عن « ياء » ، مثلاً : الغنا (الغنى) — قضا حياتو (قضى حياتَهُ) — حتَا (حتّى) .

الثّاء والذّال ، نمحو ذكرهما من أبجديّة اللغة العاميَّة ، لأنَّهُ لا يتلفَّظُ بهما ، من العامّة ، سوى نفرٍ قليل ، ونستعيض عنهما بالحروف الموافقة لِلفظ العامّة ، بمقتضى المبدإ العامّ ، مثلاً تابت (ثابت) — حادس (حادث) — كْتير (كثير) — إزن (إذن) — مع زلك (مع ذلك) — دهب (ذهب) .

تنبيه : أمّا « القاف » فنحافظ عليها ، لأنَّ فريقاً كبيرًا من سُكّان سورية يتلفظون بها ، لكنَّ الاختبار يدلُّنا على أن لفظها الحقيقي يزول شيئاً فشيئاً .

الهمزة ، في أوّل الكلمة ، تُكتب بصورةِ الألف ، ولو سبقتها « اداة التعريف » أو « هـا » الإشارة ، مثلاً : أكلِه ، الأكله ، هلأكلِه . والهمزة يندرُ وقوعُها ، في اللغة العاميَّة ، في وسط الكلمة او آخرها . فإذا وقعت في الوسط ، تُكتب دائمًا بصورة الياء ، مثلاً : فئاد (فؤاد) ؛ واذا كانت في آخر الكلمة ، كُتبت بصورة همزة القطع ، أي بدون كرسي ، مثلاً : جزء (جزء) .

الهاء في آخر الكلمات ، تُعبّر عن صوتين : الأوّل صوت الحرف « é » الفرنسيّة ، والحركة « ‌ِ » السريانيّة ؛ الثاني صوت الفتحة ، أو الحرف « a » الفرنسيّة . أمّا نحن فلم نميّز كتابة هذين الصوتين ، بل عبّرنا عنهما بحرفٍ واحد ، وهو الهاء ، لأنّ كلّ سوريٍّ لا يغلط في لفظها ، بحسب الكلمات التي يقع هذا الحرف في آخرها ، مثلاً : مدينه [1] (mdiné) — جرّه (jarra) .

تنبيه : اذا وقع بعد الكلمة المنتهية بهاء ، مضافٌ اليه ، تحوّلت الهاء إلى تاء مربوطة ، مثلاً : مدينة بيروت .

التنوين ، يندرُ وقوعُهُ في اللغة العاميّة ، واذا وقع كُتب بصورة النون ، موافقةً للفظ ، مثلاً : أبدَن (أَبدًا) — دايِن (دائمًا) .

الفصل الثاني

في اداة التعريف واسم الإشارة والضمائر

أداة التعريف ، تكتبُ كما تُكتب في اللغة الفصحى ، أي بالألف واللّام ، إلّا اذا كانت مسبوقةً بحرف جرّ مُتّصلٍ بها لفظًا ، أي بدون فاصل في التلفظ بين الجارّ والمجرور ، مثلاً : بلمدينه (بالمدينة) — علْكتاب (على الكتاب) :

---

1) لا مانع أصلاً من اتخاذ الحركة « ‌ِ » السريانية للتعبير عن هذا الصوت ، وخاصّة لان هذا الصوت هو من اصوات اللهجة السريانية ، وهي شقيقة العربيّة ، وقد دخل منها في لغتنا العاميّة ، بل في لغتنا الفصحى أيضاً ، الفاظ كثيرة ؛ ذلك فضلاً عن انّ العرب قد اقتبسوا الخطّ من السريان والأنباط ، فلا نُلام إذا استعرنا هذه الحركة « ‌ِ » السريانيّة ؛ وهل تستغني شقيقةٌ عن شقيقتها ؟

تنبيه : وعلى هذا النسق تُكتَب كلّ أداةٍ وُصلت لفظاً بالاسم أو بالفعل ، مثلاً : تيموت (حتى يموت) .

هاء الإشارة ، تُوصلُ في الكتابة بما يليها ، وتُحذف بعدها همزة الوصل من اداة التعريف ، مثلاً : هلكتاب (هذا الكتاب) — هلقصَّه (هذه القصة) .

تنبيه : لا مانع من إثبات لام التعريف الداخلة على اسمٍ أوّله حرف شمسي ، من مثل الضاد أو النون ، الخ ، لأنَّ هذهِ اللام ، في اللغة الفصحى ، لا تُحذف عن أمثال هذا الاسم ، مثلاً : هالضَيعه (هذهِ الضَّيعة) — هالنّور (هذا النّور) .

الضمائر المتصلة بالاسماء ، تُكتَب كما تُكتب في اللغة الفصحى ، ما عدا أمثال هذهِ الضمائر ، مثلاً : كتابكُن (كتابكما ، كتابكم ، كتابكنّ) — كتابِك (بإثبات الكسرة على الحرف السابق للضمير المؤنث) — كتابو (كتابُه) — كتابُن (كتابُهما ، كتابهم ، كتابهنّ) — كتابا (كتابُها) .

الضمائر المتصلة بالأفعال :

أولاً الضمائر المتصلة بلا توسط اللام (حرف الجرّ) ، فهذهِ تُكتب بصورتها في اللغة الفصحى ، ما عدا : ضربكُن (ضربكم) — ضربِك (ضرَبكِ) ؛ لكنّ « ضربك » تُقرأ ضربَكَ (أي بلفظ المذكّر) — ضربو (ضربهُ) — ضربُن (ضربهما ضربهم ، ضربهنّ) — ضربا (ضربَها) .

تنبيه : اذا سبق ضميرَ الغائبة « واوٌ » أو « ياء » ، كُتب هذا الضمير « هاء » ، مثلاً : ضربوها — ضربيها .

الضمائر المتصلة بالأفعال بواسطة اللام ، تُكتب بإثبات هذهِ اللام

قبل هذهِ الضمائر المذكورة ، مثلاً : كتبلكُن (كتب لكم) – كتبلِك (كتب لكِ) ، ويلزم كتـابة الكسرة في صيغة المؤنث ، كما رأيت – كتبلو (كتب لهُ) .

أمّا الأمر ، فيُكتب السكون على أوّله ، مثلاً : كْتبلو (اكتب له) – كْتبلا (اكتَب لها) . أمّا فعل « كتبـلا » بدون السكون في اوله ، فمعناهُ « كتَب لها » .

تنبيه : اذا كان الفعل مُنتهياً بِلام ، فلا تُدغم بهـا اللّام الجـارّة الواقعة بعدها ، مثلاً : « قاللي » بدلاً من « قالّي » – « قاللو » بدلاً من « قالُّو » ، الخ .

وإذا سبق « كاف » المؤنّثة المخاطبة ، واوُ جمع الذكور ، لزم إتباعَها بياء ، مثلاً : ضربوكي (ضربوكِ) . أمّا « ضربوكَ » فهي للمذكَّر .

الضمائر المنفصلة ، تبقى على صورتها في العربيّة الفصحى ، ما عدا : نِحنـا (نحن) – انتي (أنتِ) – انتو (أنتما ، أنتم ، أنتنّ) – هوِه (هو – ويُكتب أيضاً « هو ») – هِنّه (هم ، هما ، هُنّ) .

الفصل الثالث

الافعال

الفعل الماضي ، يُكتب بحسب المبدإ العام ، أي كما يُلفظ . لكنّنا نلفت النظر إلى الصِيغ الآتية :

كتبتي (كتبتِ) – كتبتو (كتبتم ، كتبتما ، كتبتنّ) – كتبت (بإثبات الكسرة على ما قبل الآخر ، ومعناه : كتبتُ) – كتبو (كتبوا ، كتبا ، كتبن) .

تنبيه : صيغة الماضي للمؤنثة المخاطبة ، تُكتب بياء في آخرها ، بدلًا من الكسرة ، وذلك لأنّ هذهِ الياء تُلفظ في آخر الكلمة ، فينبغي كتابتها بحسب المبدإ العامّ ، مثلًا : أخدتي (أخذتِ) — رحتي (رُحتِ) .

الحاضر (المضارع) ، إذا دخل هذهِ الصيغةَ لفظةُ « عَمْ » أو « من » (١) أو « بِ » ، فيُكتَب الفعل متصلًا بها ، مثلًا : عمباكُل ، مِنآكل ، (آكل) — منّاكل (نأكل) — بَعرف (أعرف) .

المستقبل ، اذا دخل على أوّل هذهِ الصيغة لفظة « رَحْ » ، وجب وصل هذهِ اللفظة بالفعل ، مثلًا : رَحباكُل (٢) (سآكل) — رَحتِجو (ستجيئون) .

الأمر ، يُميَّز عن صيغة الماضي بأن تُكتب الحركة على ما قبل آخرهِ . أمّا الماضي فيُكتَب بدون هذهِ الحركة ، مثلًا : فترض (إفترضَ) — فترِض (إفترِضْ) .

---

١) هذه الأدوات : « عم مِن ، منَ » أصلها « عمّال » ، وهي تُفيد الحال مع الاستمرار . فقولنا « عمباكُل » أو « منآكل » معناه الاكل في الزمن الحاضر مع الاستمرار .

٢) أهل بيروت يقولون بمعنى الاستقبال القريب « رَحباكل » ، وفي مُعظم قرى لبنان يُقال « رايح آكل » بالمعنى نفسه . والأصل في هذهِ « الحاء » هو صيغة اسم الفاعل من فعل « راح » .

أمثلة على الكتابة باللغة العامّية

إمي (١)

لا تحسّبو إن الزمـان بيقدِر دايمَن ينحي الجمال ، ولا البكا والهموم بيقدرو داين يُرَوحولو نضارتو : هيدي إمي ، عمرا ستّين سِنِه ، وكِلّ ما نظرت لَيها وِتطلّعت فيها ، بشوفا عمّال تزيد جمال بنظري !

ازا التفتِت ، أو ضِحكِت ، أو حكيت ، بِتاْسِر بقلبي ألطف تشبير . آخ ايا ريتني مصور ، لكنت بِقعد كِلّ حياتي وأنا إشتغل بصورتا ! (٢)

وقدّيش بِنتحلي صَورا ، وهي عمّال توطّيلي راسا حتّا إغمرا وبوس غرّة شعرا الابيض ؛ أو وَقتِـلّي بِتكون تِعبانِه ومَوجوعه ، وبِتصير تِتبَسّم حتّا تخبّي عنّي تَعَبا ووجعا !

لو كان ربي بيسمع مني ، كِنت بطلب إنّو يعطيني ريشة أشطر مصور ، حتّا صورلا داير من دار وِجا هالِة مجد ما يكون جدا صَوّر مِتلا !

لا ! هيدا ما بيكفّيني ! بِشتهي كمان ، من كِلّ قلبي ، إنّي إتبادل أنا وِيّاهـا ، وِتعطيني عِنرا وتاخد عمري ، وشَبـابي ، وكِلّ قوتي ، وساعِتا شوف حالي شيخ عاجز ، وشوف إمي ، بعد هلضحيه يلّي بضحيها

---

١) عرّبت هذه القطعة عن قصيدة للشاعر الايطـالي الشهير ، ادمون دي إميتشِس (Edmond de Amicis) .

٢) قيّدنا هذه القطع العامّية بالحركات ؛ ولكن لا يقرأ المطالع صحيفتين او ثلاث صحائف حتى يرى انهُ صار يُمكنه أن يقرأ بمنتهى السهولـة ، بدون أن يكون على الكتابة شكل .

كِزمالا ، عَمنِتجدِد عِزاً وشبابا (١) !

بين مطران ووتني

الوتني : انا بتعجب منكن ، انتو النصارا ، كيف بتقولو ان الخبز والخمر بيتحولو بالقداس لجسد ودم المسيح . هيدا كيف بدُّو يقطع العقل ؟

المطران : سمَحلي اسئلك هلسئال : انت ، كِلّ عِمرك كِنت بهلقامِه يلّي انت هلّق فيها ؟

الوتني : لا .

المطران : متأكد لا ! ولكن بتعرف شو سبب نموك وكِبرك !

الوتني : إه بعرف ، بجيس إنّي عم باكل خبز ولحم ورزّ وخضره ، يِعني بجيس اني عمّال إتغزّا بالأكل والشِرب .

المطران : عفاك ! بسّ بتَعرف كيف عمّال بيتحوَّل فيك الأكل والشِرب لَعظم ولحم وشعر ، الخ ؟

الوتني : لا هَيك ما بعرف كيف بيصير هلتّحوُّل .

المطران : وهَيك كمان ما بتِقدر تعرف كِيف بيتحوَّل الخبز والخمر لجسد ودم المسيح ، بجيس إنو هَيدا سرّ من أسرار الله ! فإزن ، بعد بتعِترض شي على هلسرّ المقدّس ؟

---

١) اذا قابلنا كتابة اللغة الفرنسيَّة الحاضرة ، بكتابة الأدباء الذين كتبوا بها قبل القرن الحادي عشر ، رأينا فرقاً عظيماً ، وتقدُّماً مُدهشاً . وهكذا سيرى السوريون ، في مستقبل الأجيال الآتية ، بوناً شاسعاً ، ونمُّواً عجيباً ، حين يقيسون ما نكتبهُ الآن بهذهِ اللغة العاميَّة العزيزة ، على ما سوف يكتبه أحفادُهم بها ، إذ تكون هذهِ اللغةُ قد بلغت من الترقّي مبلغاً لا يخفى ، على كلّ من ينظر في تاريخ ترقّي اللغات ، نظراً صادقاً ، وكان في صدره حبٌّ لهذا الوطن .

الوتني : بعد بَدّي إسئلك : كيف يمكن انّ القربانه تساع جسد المسيح ، وهِيّه مدوَّره ، وصغيره كتير ؟

المطران : هَيدا سئال كوَيس ؛ خُود الجواب عليه : لو طلعِت حضرتك على راس جبَل لبنان وتطلّعت حواليك ، بِتشوف قدامك مناظر كبيره واسعه كتير : مِدُن وِضياع وِجبال وسهول وحراش وبحر ونهورا ، الخ ؛ جاوبني هلّق ، بِشو بتشوف هلإشيا كِلّا ؟

الوتني : سئالك بيضحّك ! شو بدّا قول إنّي بشوفا بعيني ؟

المطران : براڤو ! بَسّ بتعرِف إنّو عَينك صغيره كتير ، ومع هيدا شِفت فيها ، وساعِت كِلّ هلإشيا يلّي حكيت عنها !

الوتني : قنعت معك ! بالحقيقه إنّك فيلسوف مِن جَدّ ! بَسّ بغدِلي سئال واحد ، وهُو : كيف مِمكن يكون المسيح موجود كِلّو ، كامل ، بكِلّ قربانه من القربانات يلّي موجوده في كِلّ كنايسكُن ؟ فيك تِشرحلي هلمسئله ؟

المطران : هَيدا سئال هَيّن . شُوف : إزا أخدت مرايه وِكسّرتا ألف شقفِه ، وتطلّعت بِكِلّ شقفه مِنّا ، بتشوف فيها صورتك كامله بالتمام ، ولو كانت شقفة المرايه صغيره . هَيك المسيح موجود كِلّو بالقربان ، ولو كان بلكنايس في ملايين قربانه !

الوتني : نسمح لي بُوس إيدك ، وإطلب بركتك . وبترجّاك تصلّي مِن شاني ، حتى الله يهديني وصير نصراني مِتلك !

حِلّاق عايق

كان في حلّاق عايق كتير ، عمّال يِحلق لواحد مِن زبوناتو ، وكان كِلّ ما جَرحو مَرّه ، يحطّلو قِطنه علجرح . لمّا خلص من جهة اليمين

وبلش بجهة الشمال ، قاللو الزبون : « زرعتلي هلجهه قطن ، بترجاك تزرعلي الجهة الثانيه صوف ! »

يا حسرتي !

كان في مره ختياره عمّال تسمع الوعظ بلكنيسه ، وكان الواعظ عمبيوعظ بلعربي الفصيح ، ولمّا خلص وطلعو الناس ، بقيت الختياره بلكنيسه تصلّي مسبحتا . بعد شوّي طلع الواعظ لبرّه ، وصار يتمشا قدّام الكنيسه ويصلّي فرضو . لمّا خلص ، التفت شاف الختياره رايحه عبيتا ، قاللا :

« كيف حالك ، يا إختي ؟ إنشالله نبسطتي من الوعظ ؟ »

قالتلو : « ريتك تقبرني ! إنتِ بتعرف عربي ؟ أنا حسبتك فرنجي غريب ! ليش ما وعظتلنا بلعربي ؟ »

قاللا : « كيف ما وعظتلكن بلعربي ؟ ! شو ما كنتي منتبهه وقت الوعظ ؟ »

قالتلو : « مبلا ! كنت منتبهه كل الوقت ، بس ما فهمت ولا كلمه ! »

ساعتا نتبه الواعظ لغلطو ، وما عاد وعظ إلّا بلعربي العامّي . وقتا ، الختياره كيّفت كتير ، وصارت تفهم الوعظ كلمه وكلمه .

ملحق (١)

تابع للصحيفة ٣٦ من هذا الكراس

اللغة الارمنية

ان اللغة الارمنية القديمة بقيت مدة من الزمان غير كاملة حيث لم يكن لها حروف خاصة بها فكانوا يستعينون بالحروف اليونانيــة او الفارسية بحسب الزمان وتاثير البلاد المجاورة . وفي اواسط القرن الخامس نهض القديس ميسروب ووضع لها اهم الحروف وانشأ مدرسة خرج منها فحول علم واذب . وما هو غير حين حتى تمت حروفها وترجم الكتاب المقدس بمعاونة البطريرك اسحق الكبير . وتبع ذلك ترجمة كثير من مؤلفات آباء الكنيسة الشرقية من مثل مؤلفات باسيليوس ويوحنا الذهبي الفم الخ ودعي هذا العصر العصر الذهبي للغة الارمنية القديمة . وبعد ذلك وقعت حروب واضطرابات أثرت في هذه اللغة تاثيراً كبيرا حتى كادت تندثر ولا سيا بعد ان ذهبت السلطة الزمنية من يد الارمن وذلك بعد موت آخر ملوكهم المدعو لوسينيان الخامس سنة ١٣٩٤ . وفي سنة ١٧٠٠ نهض الكاهن الكاثوليكي ميخيطار وأنشأ رهبانية علمية في فينا فازدهرت وأنشي لها فرع آخر في فينا فهب هؤلاء الرهبان الافاضل وعكفوا على جمع شتات اللغة القديمة وتنظيم اصول قواعدها . ومن ذلك الحين اخذت تتدرج في العودة الى ازدهارها السابق . ولم يكتفوا بذلك بل أكبوا ايضاً على تعزيز اللغة الارمنية العامية . وهذه اللغة العاميــة تتقدم بتقدم

---

(١) هذا الملحق وما يليه طبعا في مطبعة الانتصار بيروت سوق سرسق

الشعب الارمني وازدهار احواله فحصل اذ ذاك خصام شديد بين انصار اللغة القديمة وانصار اللغة العامية واستمر هذا الخصام من سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٨٥٠ . فكانت نتيجته فوز اللغة العامية وانتصارها على اللغة القديمة الفصحى واول من ضبط احكام اللغة العامية هو السيد ايدنيان رئيس الرهبانية المخيطارية في فينا وذلك سنة ١٨٨٣ (١)

وهذه اللغة العامية لا تختلف كثيرا عن اللغة الارمنية القديمة وان اصول الاسماء والافعال باقية على اصلها الا في بعض اختلاف في التصريف وذلك على مثال الفرق القائم بين اللغة العربية الفصحى ولغتنا العامية (٦) والذي يعرف الارمنية العامية لا يجد اقل صعوبة في فهم الارمنية القديمة

ومن عجيب نهوض الشعب الارمني واقباله على تعزيز اللغة العامية انه بلغ بها في وقت قصير الى درجة من التقدم سامية . وقد ظهر فحول من الشعراء نظموا في هذه اللغة العامية منظومات تعادل في متانتها وابتكار مواضيعها منظومات اعظم الشعراء الافرنسيين . ومن اولئك الشعراء المشاهير « ڤاروجان » و « سيامنتو » اللذين قتلها الاتراك سنة ١٩١٥ . ذلك فضلا عن كتاب اعاظم ومنهم « أليشان » الذي توفي سنة ١٩٠٢ وخلف مؤلفات شهيرة شعرية وتاريخية كتب بعضها باللغة القديمة وبعضها باللغة الحديثة العامية

(١) ان اللهجة العامية التي ضبط قواعدها السيد ايدينيان هي لهجة الشعب الارمني في الاستانة وهذه اللهجة عمت وانتصرت على سائر اللهجات التي كان ينطق بها الا من القاطنون في جميع جهات الاناضول وقفقاسية ...

(٢) ما رأي حضرة الاب صالحاني اليسوعي عند قراءة هذا الكلام فهل يبقى مصرا على رأيه ويقول ان اللغة العربيه الفصحى واللغة العربية العامية هما لغة واحدة لا فرق بينهما . وانه يستحيل على اللغة العامية ان تصير لغة كتابية ادبية ام يرجع عن اصراره وهو حي قبل ان تكشف الايام الاتية بطلان رايه . وما قلناه للاب صالحاني نقوله للاب لويس شيخو اليسوعي ولكل من هو على رايه فان الله لا يحرم الوطن رجالا مخلصين يساعدون هذه اللغة العامية ويأخذون بيدها حبا بخير الشعب . اللهم آمين .

اما الكنيسة الارمنية فلا تزال تابعة للغة القديمة غير ان الكهنة بدأوا في زماننا يقرأون الانجيل باللغة العامية ويرتلون صلوات الجنازات في الطريق باللغة العامية

ألا حيا الله هذه الامة النشيطة التي نراها حتى بين اشد المصاعب دائبة في العمل بنشاط وثبات عجيبين .

وقد أكد لنا حضرة العالم الفاضل الاب جبرائيل كسباريان الذي اخذنا عنه هذه المعلومات ان اللغة الارمنية العامية قد بلغت في هذا الوقت القصير أي من اواسط القرن التاسع عشر الى الان مبلغا مدهشا ووضع بها من المؤلفات الادبية والادارية ما يندر وجود مثله في اللغة العربية الفصحى . ذلك فضلا عن الجرائد والمجلات ولا سيما مجلة «الجمال» التي هي الان في مقدمة مجلات العالم المتمدن بابتكار مواضيعها وصحة عبارتها واتقان طبعها وجمال صورها ورسومها

فأين خصوم لغتنا العامية السورية بل اين جريدة البشير ومجلة المشرق وجريدتي البرق والبيان وكل من يتوهم ان اللغة العامية السورية يستحيل عليها ان ترتقي وتصل الى درجة لغة ادبية ؟

قلنا في تاريخ اللغة العربية المالطية (الصحيفة ٣٦ من هذا الكراس) ان فارس الشدياق كان يضحك من الذين كانوا يسعون لتعزيز اللغة المالطية ويصب عليهم سيول التهكم والازدراء (طالع كتابه الواسطة في احوال مالطه) ولكن ما هو غير حين حتى فاز انصار هذه اللغة وجعلوها لغة ادبية واتخذوا لها ايضا الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي . ولو قام المرحوم فارس الشدياق من قبره ونظر الان الى الكتب والمجلات والجرائد المكتوبة بهذه اللغة المالطية العربية لاخذه العجب واعتذر عما كتبه في كتابه السابق الذكر

هكذا ستترقى اللغة العامية السورية وهكذا سيضحك التاريخ الاتي من خصوم هذه اللغة العزيزة

اما اذا كتب الدهر دوام الشقاء لعامة الشعب من بين وطني ولم يقيض الله رجالا اغنياء وادباء تحملهم الغيرة على مصلحة هذا الوطن فيسعون لتعزيز هذه اللغة ويسهلون سبل التعلم في اقصر وقت فقل على اللغة العامية بل على اللغة الفصحى سلام . فان اللغات الاجنبية فاتحة اشداقها لتبتلع لغتنا العربية واذا دامت الحال على هذا المنوال فلا تعود تسمع في بيروت بل في اعلى قرى لبنان سوى نغمات اللغات الاجنبية فتموت قوميتنا وتنمحق عاداتنا ويزول تاريخنا عن وجه الارض . ولله درُّ من قال:

لغة الشعب حياته ولغته المكتوبة خلوده .

٥

اقوال الجرائد الوطنية

في كتابنا الجديد « درس ومطالعة » ولا سيما في مقالتنا « حياة اللغات وموتها — اللغة العامية » المنشورة في الكتاب المذكور

قالت جريدة لسان الحال في (نسختها ٩٤٠٦) :

... ومما استرعى انتباهنا في هذا الكتاب (درس ومطالعة) مقالان اولهما «تحسين اللغة العربية» بادخال علامات الوقف، وثانيهما «حياة اللغات وموتها اللغة العامة» وقد توسع المؤلف في المقال الاخير توسعاً ألمّ بالموضوع من جميع اطرافه . واشار الى الحيف اللاحق بالشعب العامي من جراء جهله اللغة الفصحى، ذلك الجهل الذي حرمه اجتناء المراسلة واقترح ملافاته بوجوب جعل اللغة العامية صالحة للمراسلة . وهو اقتراح خطير يجدر برجال الادب وذوي العلم ان يفوه حقه من الدرس والتعمق توصلاً لنتيجة تضمن الفوائد للعاميين، وفي الوقت نفسه تصون اللغة .

وقالت جريدة الاحوال (في نسختها ٨٤٣٥) :

.. الخوري مارون غصن لا يحتاج الى تعريف فكثيرون هم الذين

درسوا عليه وكثيرة هي المؤلفات والمقالات الشائقة التي انشأها . ويخيل الينا انه حاول في مقاله « اللغة العامية » ان يحذو حذو النابغة الايطالي « دانتي » .

وقالت جريدة الاقبال في نسختها (٢٣١٦) :

... ونحن نلفت نظر مقتني هذا الكتاب النفيس « درس ومطالعة » الى مقالتين عنوانهما « حياة اللغات وموتها » و « تحسين اللغة العربية بادخال علامات الوقف عليها » وستلاقي هذه الفكرة الجديدة لدى الطالعين ارتياحا » .

وقالت جريدة صدى الاحوال ٤٢١

... وفي الكتاب « درس ومطالعة » فصلان شائقان اولهما حياة اللغة وموتها — اللغة العامية » من ابدع ما ابتكرته مخيلة كاتب غيور على حياة لغة العرب ، وقد تمشى حضرة المؤلف فيه باسلوب مبتكر مختصر يفيد كثيرا ولا سيما عسيري الحل ... وثانيهما بعنوان « تحسين اللغة العربية » دل على مقدرة المؤلف وتفانيه في سبيل احياء العلوم والاداب .. »

وقالت جريدة المعرض ٢٧٣ :

...وعلى ما في الكتاب من جميل ومفيد ، فقد استلفت انظارنا : مقالان جليلان فيه ، وهما :

« تحسين اللغة العربية بادخال علامات الوقف » و « حياة اللغات وموتها — اللغة العامية » اما مقال اللغة العامية فسيكون له شأن خطير ... »

وان جريدة الارزة قد قرظت كتابنا بعبارات لا يستحقها عجزنا فقالت

«... ان ما تجود به قريحة حضرة الاب مارون غصن ، ويأتي به نبوغه

لهو جزيل الفائدة جليل النفع في المجتمع ، وغني عن البيان ايضاً ان الافكار العالية ، والعلم الوافي ، والتقى والاجتهاد لا تاتي الا بثمار الخير والرقي . . »

وان جريدة الوطن نفسها قرظت كتابنا احسن تقريظ ، وخصصت بالمدح مقالتنا « اللغة العامية (في نسختها ٩٢٤) فقالت : وفي هذا الكتاب النفيس مقالة عنوانها « حياة اللغات وموتها « اللغة العامية » فراقتنا هذه الفكرة الجديدة التي ستلاقي ارتياحا لدى المفكرين . . . »

استحسان احبار البلاد

لهذه الفكرة

وقد حظينا بالمثول لدى البطريرك اللبناني الكبير ، غبطة السيد الياس الحويك ، وامام عدة من احبار هذه البلاد وهم من اعاظم العلماء المفكرين ، فاستحسنوا فكرتنا هذه ، وباركونا ونشطونا ، لانهم ادركوا ما يصدر عنها من الخير الروحي والزمني لعامة الشعب .

والى القراء الكرام ما قاله اولئك السادة العظام وكتبوه بخطهم الشريف :
نبارك هذا المشروع ونتمنى له الرواج والانتشار

في ٥ ك ٢ سنة ١٩٢٥

اغناطيوس مبارك	الياس بطرس الحويك
مطران بيروت	البطريرك الانطاكي

نبارك هذا المشروع المفيد ونتمنى له الفلاح لمجد الله ولخير الشعب الروحي

المطران بطرس الفغالي
النائب البطريركي

المطران عبد الله خوري
النائب البطريركي

نبارك هذا المشروع المهم، ونسأل الله لحضرة المؤلف العالم الفيور الخوري مارون غصن كل خير ونعمة وتوفيق واقبال

المطران بولس عقل
النائب البطريركي

نبارك هذا المشروع المفيد ونتمنى له الفلاح لمجد الله وخير الشعب الروحي والزمني

مخائيل اخرس
مطران حلب

بشاره الشمالي
مطران دمشق

الخوري
الياس ريشا

الاب يوسف مبارك
رئيس المرسلين اللبنانيين العام

الخوري
بولس طعمه

الخوري
بطرس مبارك

الاب انطون حبيب
رئيس المرسلين البولسيين

وقد كتب الينا سيادة الحبر العلامة باسيليوس قطان، الرسالة الاتية :

حضرة ولدنا العزيز الخوري مارون غصن الجزيل الاحترام

سلام وبركة رسولية . وبعد فقد اطلعنا على فكرتكم بخصوص تعزيز اللغة العامية والسعي لترقيتها الى مقام لغة ادبية ، وذلك حباً في حب شعبنا السوري واللبناني ، كي يتمكن بوقت قصير من القراءة والكتابة بهذه اللغة العزيزة ، التي انما هي خاصة لغة الشعب . ومن صميم فوادنا نبارك مشروعكم هذا . ونتمنى له الرواج والانتشار . وعربونا لذلك نمنحكم البركة تكرارا

في ٢٦ ك ٢ سنة ١٩٢٥

باسيليوس قطان
مطران بيروت وجبيل وتوابعها

ان غاية هؤلاء السادات العظام ، من تعزيز ومباركة هذا المشروع انما هي السعي لافادة الشعب الروحية والزمنية . فان عددا عظيما من ابناء هذا الوطن العزيز ، لا تمكنهم حالتهم المالية من قضاء عدة سنين في المدارس الراقية كي يتمكنوا من تعلّم اللغة الفصحى ، اذ هي من اصعب لغات الارض ، ومتى تحقق هذا المشروع ، وصار للغة العامية مقام في عيون الناس ، فلا يعود كهنة القرى ، خاصة ، يتاخرون عن الوعظ باللسان العامي ، طلبا لافهام الشعب . ولا يعود احد يخجل من الكتابة بهذه اللغة العزيزة بعد ان تكون قد حصلت على حقها من الظهور في عالم الاداب

حقق الله امانينا واماني كل محب لهذا المشروع المفيد .









DATE DUE

